الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة "الشهيد حمّه لخضر" الوادي

كلية الآداب واللّغات

قسم اللغة والأدب العربي

العَوامِلُ الحِجاجيَّةُ في الأَرْبَعينَ النَّوَوِيَّة

مذكرة مقدّمة استكمالا لمتطلّبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي.

التخصص: لسانيات عامة.

إعداد الطالبتين:

- منى عبد الجواد.
- مسعودة حواس.

إشراف الدكتور:

محمد بن يحي.

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/ دلال وشن	جامعة الشهيد حمّة لخضر – الوادي	رئيسا
د/ محمد بن يحي	جامعة الشهيد حمّة لخضر – الوادي	مشرفا ومقرّرا
د/ سليم سعداني	جامعة الشهيد حمّة لخضر – الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1441– 1442 هـ / 2019 – 2020 م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة "الشهيد حمّه لخضر" الوادي

كلية الآداب واللّغات

قسم اللغة والأدب العربي

العَوامِلُ الحِجاجيَّةُ في الأَرْبَعينَ النَّوَوِيَّة

مذكرة مقدّمة استكمالا لمتطلّبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي.

التخصص: لسانيات عامة.

إعداد الطالبتين:

- منى عبد الجواد.
- مسعودة حواس.

إشراف الدكتور:

محمد بن يحي.

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/ دلال وشن	جامعة الشهيد حمّة لخضر – الوادي	رئيسا
د/ محمد بن يحي	جامعة الشهيد حمّة لخضر – الوادي	مشرفا ومقرّرا
د/ سليم سعداني	جامعة الشهيد حمّة لخضر – الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1441– 1442 هـ / 2019 – 2020 م.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

[النحل: 125]

شُكْـــرٌ وعِـــرْفان

لأَشْـكُرَنَّ هُـماماً فَضْلَ نِعْمَتِه***لا يَشْكُرِ اللهَ من لَمْ يَشْكُرِ النّاسَا

الشّكرُ لله أوّلاً وآخِرًا على نِعَمِه التي لا تُحْصَى.

وجزيل الشكر للوالدين بارك الله في أعمارهم.

والشكرُ الموفورُ إلى أستاذنا الكَريم "الدّكتور محمّد بن يحي" على كلّ ما أسداه لنا من توجيهات لا تقدَّر بثمَن.

والشّكرُ موصولٌ لكُلِّ من شجّعنا، ومدَّ لنا يدَ العونِ في إنجاز هذا العمل.

منى عبد الجواد

مسعودة حواس

مقـــدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّه الكريم الذي أرسله رحمةً للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

لقد أرسل الله نبيّه محمدا –صلّى الله عليه وسلّم– لهداية الناس إلى طريق الحق، وإخراجهم من ظلمات الشّرك إلى نور الإيمان، وبيّن له طريق الدعوة إلى الله، فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]. وآتاه جوامع الكَلِم؛ فكانت أحاديثه –صلى الله عليه وسلّم– في أعلى درجات البلاغة بعد كلام الله عزّ وجلّ.

وقد اعتمد الرسول–صلّى الله عليه وسلّم– في أحاديثه على الحِجاج، مُوَظّفا مجموعة من العناصر اللغوية تُعرف بـ "**العوامل الحجاجية**"؛ بهدف إقناع الناس بما يدعوهم إليه من إيمان بالله، وعبادته وحده وعدم الإشراك به، والتحلي بمكارم الأخلاق.

وهذا البحث يحاول أن يسلط الضوء على العوامل الحِجاجية في مجموعة من الأحاديث الشريفة التي جمعها الإمام النووي (ت: 676 هـ)، والتي باتت تُعرف "**بالأربعين النّووية**".

وقد اعتمدنا كتاب "**شرح الأربعين النووية**" لمحمد بن صالح العثيمين مدوّنة له.

وأهمّ ما دفعنا إلى البحث في هذا الموضوع:

– الرّغبة في مسايرة التطور الحاصل في الدراسات اللغوية المعاصرة في مجال البلاغة الجديدة.

– التعرف على العوامل الحجاجية، وآليات اشتغالها في الخطاب.

– الوقوف على طائفة من العوامل الحجاجية في "الأربعين النّوويّة"، وتحديد وظائفها الحجاجية التي أدّتها في تلك الخطابات النبويّة.

إشكالية البحث: لقد أرسل الله تعالى رسوله –صلى الله عليه وسلم– لهداية الناس إلى طريق الحق، فآتاه جوامع الكَلِم، وأمره بأن يدعوهم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادلهم بالتي هي أحسن، وعليه فإننا نفترض أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قد اعتمد على عناصر لغوية في دعوته الناس؛ لإقناعهم، وحملهم على الإذعان والتسليم بما يدعوهم إليه.

وانطلاقا مما سبق فإننا أسّسنا بحثنا هذا على إشكالية نصوغها في السؤال الآتي:

– ما العوامل الحجاجية التي وظّفها الرسول–صلى الله عليه وسلّم– في أحاديثه المعروفة بـ "الأربعين النووية"؟ وما الوظائف التي أدّتها تلك العوامل الحجاجية في تلك الأحاديث النبوية؟

ويهدف هذا البحث إلى مجموعة من الأهداف، نلخّصها في الآتي:

- تجلية وجه من وجوه البلاغة النبوية، من خلال دراسة العوامل الحجاجية في الحديث الشريف.
- الوقوف على أهم العوامل الحجاجية الموظّفة في "الأربعين النّوويّة".
- الوقوف على أبرز الوظائف التي أدتها العوامل الحجاجية في مدوّنة بحثنا.

الدراسات السابقة في الموضوع: ككلّ البحوث الأكاديمية، فإن بحثنا هذا لم ينطلق من فراغ؛ إذ إن هناك دراسات كثيرة اهتمت بدراسة العوامل الحجاجية في الخطابات المختلفة، إلا أنها شحيحة في دراسة الحديث النبوي الشريف.

ومن الدراسات التياتخذت من الحجاج في الحديث النبوي الشريف موضوعا لها–وكان لنا حظّ الاطلاع عليها– الدّراسة التي قدمتها "حسينة البحري" سنة: 2015 في جامعة امحمد بوقرة ببومرداس (الجزائر)؛ لنيل درجة الماستر في اللغة العربية، وهي موسومة ب "الآليات الحجاجية في الحديث النبوي الشريف –أحاديث مختارة من صحيح البخاري"؛ إلا أن الباحثة لم تتطرق لا من قريب ولا من بعيد للعوامل الحجاجية في الأحاديث النبوية، وانصبت دراستها على ما سمته "الآليات اللغوية"، متمثلة في الإحالة، والتكرار. والآليات البلاغية، متمثلة في: التمثيل والاستعارة، والطباق، والكناية.

ومنها كذلك الدراسة الموسومة بـ: "الحجاج في الخطاب النبوي (أحاديث المعاملات والعبادات –أنموذجا–) التي قدمتها سهير العايش سنة 2014- 2016 بجامعة العربي بن مهيديبأم البواقي (الجزائر)، ولم تتطرق فيها إلا لعامل حجاجي واحد هو: "لا...إلا".

كما نشير إلى أننا لم نعثر على دراسة خُصّصت للعوامل الحجاجية في الأربعين النووية؛ مما يجعل هذا البحث مُبرَّرا.

وقد التأم هذا البحث من: مقدّمة، وفصلين، وخاتمة.

أما **الفصل الأول**، فهو نظري تأسيسي، وهو موسوم بـ:"**العوامل الحجاجية: المفهوم والوظيفة**". وسنتطرق فيه إلى سبعة (7) عناصر أساسية:

1– الحجاج لغةً: ونتطرق فيه إلى مفهوم الحجاج، كما ورد في المعاجم العربية.

2- مفهوم الحجاج عند الإغريق وفي التراث الإسلامي: وسنعرض فيه مفهوم الحجاج عند الإغريق، مركّزين على مفهومه عند "السّفسطائيين"، ثم مفهومه عند "أفلاطون".

أما عن الحجاج في التراث الإسلامي، فسنتطرق فيه إلى: ورود الحجاج في القرآن الكريم، والحديث الشريف، ثم مفهوم الحجاج عند النحاة، ومفهومه عند البلاغيين.

3- مفهوم الحجاج في الدراسات اللغوية الغربية والعربية الحديثة: وسنعرض فيه مفهوم الحجاج في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة، وبخاصة عند كلّ من: "بيرلمان" و"تيتيكا"، و"ديكرو".

أما عن مفهوم الحجاج في الدراسات اللغوية العربية الحديثة، فسنكتفي بمفهومه عند "أبو بكر العزاوي"؛ لأننا رأينا فيه غنى.

4- مفهوم العامل الحجاجي: ونبيّن فيه مفهوم العامل الحجاجي، باعتباره عنصرا لغويا يلجأ إليه المتكلم في توجيه خطابه نحو وجهة حجاجية معيّنة؛ لإقناع متلقيه بالنتيجة التي يريد تحقيقها.

5- العوامل الحجاجية في اللغة العربية: ونعرض فيه أهم العوامل الحجاجية في اللغة العربية، متمثلة في: القصر بمختلف طرقه، والتوكيد، والنفي بـ "لا".

6- وظائف العوامل الحجاجية في الخطاب: ونتناول فيه أهم الوظائف التي تؤديها العوامل الحجاجية في الخطاب، كتوجيه الحجاج، والإعانة على فهم المعنى، وتحقيق مبدإ الإفادة، وتقوية طاقة الملفوظ الحجاجية، وتقوية توجيه الحجاج نحو النتيجة...

7- الفرق بين العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية: ونبيّن فيه الاختلاف بين العوامل الحجاجية (موضوع دراستنا)، والرّوابط الحجاجية؛ ذلك أن العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر، وتقييد الامكانات الحجاجية التي تكون لقول ما.

وأما **الفصل الأخير**، فهو تطبيقي، وسنخصصه لدراسة"**العوامل الحجاجية ووظائفها في الأربعين النووية**"،حيث سندرسها في ثلاثة عناصر أساسية:

1- <u>العامل الحجاجي القصر بالنفي والاستثناء</u>: وسندرس فيه العوامل الآتية:

- <u>(لا ...إلا)</u>:وسندرسه، ونبيّن وظائفه الحجاجية في الحديث العاشر.

-(ما...إلا): وسنتناوله، ونحاول الوقوف على وظائفه الحجاجية في الحديث السادس والثلاثين.

-(لا...حتّى): سنعالج وظائفه الحجاجية في الحديث الثالث عشر.

-(القصر بـ "إنما"): وسنتناوله بالدراسة في حديثين: الحديث الأول، والحديث التاسع.

2- العامل الحجاجي التوكيد: وسنتطرق فيه إلى:

- التوكيد بالأداة (إنّ): بوصفه نموذجا لتوكيد الخبر (الطلبي) بأداة واحدة. وسندرسه، ونبيّن وظائف "إن" الحجاجية فيالحديث العشرين.

- التوكيد بأكثر من أداة (ألا + إن): ونتخذه نموذجا لتوكيد الخبر بأكثر من أداة. وسندرسه ونوضح وظائفه الحجاجية فيالحديث السادس.

3- العامل الحجاجي النفي بـ "لا": وسندرس فيه:

- "لا النافية للجنس": ونحلّل وظائف هذا العامل في الحديث الثاني والثلاثين.

-"لا النافية الداخلة على الفعل المضارع":وندرس وظائف هذا العامل الحجاجي في الحديث الخامس والثلاثين.

ونختم البحث بخاتمة نضمنها أهم نتائجه،ونقدّم اقتراحا للدارسين في مجال البلاغة النبوية.

وسنذيل البحث بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت في إنجازه.

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع فقد **اعتمدنا على المنهج الوصفي، مع الاستعانة بالتحليل** في هذه الدراسة. حيث طبقنا آليات الوصف في دراسة العوامل الحجاجية في الأحاديث الأربعين النووية، مستعينينبالتحليل في شرح تلك الأحاديث، وتبيان الوظائف الحجاجية التي أدتها تلك العوامل في الأحاديث المدروسة.

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على **مجموعة من المصادر والمراجع**، ففضلا عن مدونة البحث "شرح الأربعين النووية" لمحمد بن صالح العثيمين، فقد اعتمدنا كذلك على مراجع أساسية، ومنها: كتاب "شرح الأربعين النووية" لجمع من العلماء،والعوامل الحجاجية في اللغة العربية لعز الدين الناجح، واللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي.

ومن الطبيعي أن تواجه أيّ باحث مبتدئ صعوبات أثناء إنجاز بحثه.**ومن أهم الصعوبات** التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث:

- الظروف الاستثنائية المتمثلة في الحجر الصحي؛ جراء جائحة كورونا؛ ما حال دون الالتقاء بيننا وبين الأستاذ المشرف، إلا ما كان من اتصال عن طريق الهاتف والبريد الإلكتروني.

- صعوبة الوقوف على الوظائف الحجاجية للعوامل في الأحاديث المدروسة؛ بسبب تداخلها مع بعضها بعضا.

- الخوف والخشية من عدم إيفاء المدونة حقها من الدراسة والتحليل، أو التّقوّل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لأننا نتعامل مع أحاديث نبوية شريفة.

وقد تمكّنا من تجاوز تلك الصعوبات بعون الله تعالى أولا، وتوجيهات أستاذنا المشرف ثانيا.

وفي الأخير نقول: إننا لا ندّعي الكمال لهذا البحث، فلا شكّ أن به من النقائص والثّغرات والهَنات، ولكن حسبنا أجر الاجتهاد، فإن أصبنا، فمن الله، وإن أخطأنا، فمن أنفسنا ومن الشيطان. والله نسأل التوفيق والسّداد، إنه قريب مجيب الدعاء.

منى عبد الجواد

مسعودة حواس

الوادي، في: 04 من المحرم 1442 هـ، الموافق: 23 من أوت 2020.

الفصل الأول

العوامل الحجاجيّة: المفهوم والوظيفة

1- الحجاج لغةً.

2- مفهوم الحجاج عند الإغريق وفي التراث الإسلامي.

3- مفهوم الحجاج في الدراسات اللغوية الغربية والعربية الحديثة.

4- مفهوم العامل الحجاجي.

5- العوامل الحجاجية في اللغة العربية.

6- وظائف العوامل الحجاجية في الخطاب.

7- الفرق بين العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية.

يسعى المخاطِبُ في رسالته اللغوية إلى إقناع المخاطَب برأيه أو بوجهة نظره، فيلجأ إلى توظيف عناصر لغوية؛ لأجل التأثير في المخاطَب، وحمله على الإذعان والتسليم بذلك الرأي.

وتُسمّى تلك العملية بـ "الحِجاج"، وتُدعى تلك العناصر التي يوظفها المخاطِب؛ بغيةَ التأثير في المخاطَب بـ "العوامل الحجاجية".

فما الحجاج؟ وما العوامل الحجاجية في اللغة العربية؟ وما وظيفتها في الخطاب؟

1- الحجاج لغةً: الحِجاجُ: مصْدرُ الفعل "حاجَجَ" من مادة (حجج) التي من معانيها "القَصْد"، و"التّخاصم"، أي: إتيان الشخص بحجة يثبت بها رأيه.

قال ابن فارس (ت:395 هـ): «مُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ الحُجَّةُ مُشْتَقَّةً مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهَا تُقْصَدُ، أَوْ بِهَا يُقْصَدُ الحَقُّ المَطْلُوبُ. يُقَالُ حَاجَجْتُ فُلَانًا فَحَجَجْتُهُ، أَيْ: غَلَبْتُهُ بِالحُجَّةِ، وَذَلِكَ الظَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الخُصُومَةِ، وَالجَمْعُ حُجَجٌ. وَالمَصْدَرُ الحِجَاجُ»[1].

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت: 711هـ): «يُقَالُ: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي: غَلَبْتُه بالحُجَجِ التِي أَدْلَيْتُ بها... والحُجَّة: البُرْهان. وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الوَجْهُ الذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم. وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه. وَفِي الحَدِيثِ: "فَحَجَّ آدمُ مُوسَى"، أَي: غَلَبَه بالحُجَّة. واحْتَجَّ بالشيءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّة؛ قَالَ الأَزهري: إِنما سُمِّيَتْ حُجَّة؛ لأَنها تُحَجُّ أَي: تُقْصَدُ؛ لأَن القَصْدَ لَهَا وإِليها. وَكَذَلِكَ مَحَجَّة الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ والمَسْلَكُ. وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ: "إِن يَخْرُجْ وأَنا فِيكُمْ فأَنا حَجِيجُه"، أَي مُحاجُّهُ ومُغالِبُه بِإِظهار الحُجَّة عَلَيْهِ. والحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالبُرْهَانُ. يُقَالُ: حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ، فَعِيل بِمَعْنَى فَاعِلٍ. وَمِنْهُ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ: فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي أَي: أَغْلِبُه بالحُجَّة. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً، فَهُوَ مَحْجوجٌ وحَجِيج»[2].

---

[1]- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ / 1979م، مادة (حجّ)، ج2، ص30.

[2]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، مادة (حجج)، ج2، ص228.

وممّا ورد في المعاجم العربية، يتبيّنُ لنا أن معنى الحجاج في اللغة هو الدّفاع عن الرأي بالدليل والبُرهان الذي يُغلَبُ به الخصم، فيجعله يُذعِن ويُسلّمُ بذلك الرأي.ومنه قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 66].

وتتلخص معاني الحجاج في المعاجم عند اللغويين في: التخاصم، والجدل، والتنازع وتقديم البراهين خلال المنازعة والمخاصمة يقصدها المتنازع بالبراهين لغلبة الطرف المقابل والتأثير فيه وإقناعه. على أنه يجب الحذر مما ذهب إليه قدامى اللغويين العرب في معاجمهم من اعتبار الحجاج مرادفا للجدل، ومراوحتهم بينهما في الاستعمال واستخدام أحدهما معطوفا على الآخر باعتبارهما مترادفين، من شأنه أن يضيق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل، فالحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدلا، فالاحتجاج من مصطلحات النقد العربي القديم، وهو "لون من ألوان الكلام سماه بهذا الاسم جماعة منهم أبو حيان الأندلسي، وابن قيّم الجوزية، وسماه الزركشي إلجام الخصم بالحجة، والبلاغيون يسمونه المذهب الكلامي[1].

2- الحِجاج اصطلاحا:

2- 1- مفهوم الحجاج عند الإغريق وفي التراث الإسلامي: يُستعمَل الحجاجُ في شتى مجالات الخطاب، ومنها: الخطابة، والفلسفة، والمنطق، والمرافعات القضائية...وما يهمنا في بحثنا هذا هو الحجاج اللغوي.

وقبل التطرّق إلى مفهوم الحجاج اللغوي في الاصطلاح الحديث، يجدر بنا أن نعرض بإيجاز مفهومه في الثقافة الإغريقية، حيث ظهر، ثم في التراث الإسلامي، لنصل إلى مفهومه في الدراسات اللغوية الحديثة: الغربية، والعربية.

[1]-هاني بن يوسف أبو غليون، الحجاج في النص القرآني (سور الحواميم أنموذجا)، رسالة ماجستير، إشراف: أ. د. زهير منصور، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، 2008، ص7.

2- 1- 1- الحجاج عند الإغريق: لقد ارتبط الحجاج عند الإغريق قديما بالخطابة والبلاغة، وكثيرا ما ورد في الثقافة الغربية والعربية بتسميات مختلفة، جاء بمعنى الجدل، والتناظر...

وحين نفحص تلك الجهود السابقة نجد أن الفلاسفة اليونانيين، أمثال سقراط، وتلميذه أفلاطون، ومن بعدهما أرسطو، والسفسطائيين قد قدموا بعض الأساليب الحجاجية الماهرة التي اشتهروا بها، وأصبحت من المكونات المحورية في عمليات الحجاج من بعدهم[1].

وسنكتفي بالإشارة إلى مفهوم الحجاج عند السفسطائيين، وعند أفلاطون من الفلاسفة.

2- 1- 1- 1- الحجاج عند السفسطائيين (The Sophists): يعدّ السفسطائيون حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد. وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية، وبالخبرة الجدلية، ويتجلى ذلك من خلال تسميتهم التي كانت تعني الحكيم الخبير بكل فنّ وأسلوب[2].

وقد كان لهم دورٌ كبيرٌ في تطوير البلاغة القولية التواصلية خاصة، والحياة الفكرية اليونانية عامة؛ فقد كانوا يعقدون نقاشات فلسفية ذات منزع لغوي (توليدي) للأفكار، الأمر الذي أسفر عن اهتمام بالغ بالطرائق الحجاجية والإقناعية من ناحية، وأدى إلى تراكم معرفي كبير شكل النواة لمعظم الدراسات القديمة والحديثة للفلسفة اليونانية من ناحية ثانية، وسواء في ذلك الدراسات التي دخلت معهم -أي السفسطائيين- في حوار مباشر، أو تلك التي ناقشت فرضياتهم في فترة متأخرة[3].

لقد اهتم السفسطائيون ببنية كلٍّ من الكلمة والجملة، وبحثوا في السبل الممكنة التي بها يتحقق الإقناع وتغيير مواقف الآخرين، وقد استعانوا في سبيل تلك الغاية بخبرة بالغة في مقامات الناس والقول معا، وأيضا بآليات إجراء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية، مما حتم على محاوريهم التوسّل

---

[1]- حسين بوبلوطة، الحجاج في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، مذكرة ماجستير، إشراف: د. إسماعيل زردومي، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة، الجزائر، 2009، ص05.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص24.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

بمناهج حجاجية مختلفة. وقد ظهر ذلك في منهج أفلاطون في محاورته المشهورة فيدر "Phedre"، وكذلك أرسطو في مصنفاته المتعددة.

ويشار في هذا المقام إلى أن السفسطائيين قد اهتموا إلى حد كبير ببلاغة القول ومتعلقاته، حتى إنهم اتخذوها حرفة يلقنونها أبناء الأعيان، وغيرهم من الراغبين فيها. وقد دفعهم هذا التوجه إلى التركيز على "الخطابة"؛ فالمدينة وكذا المدنية، إنما تؤسَّسان في نظرهم اعتمادا على بلاغة القول وأهل القول، وليس على أعمال أهل الصنائع والجرف[1].

وقد عمد السفسطائيون في ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة (النفعية) المتعلقة باللذة أ: الهوى، وليس النفع المتعلق بالمثل أو الخير. وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار؛ وذلك اعتمادًا على توظيف سلطة القول Force du langage في الاحتيال على "الحقيقة" و"الخير"، إذا كانا يخدمان غرض المحاجِج. وتعدُّ هاتان الفكرتان التوجيه"orientation" والتوظيف"Fonctionnement" أيضا من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة[2].

2-1- 1- 2- الحجاج عند أفلاطون (Platon):يتركز نقد "أفلاطون" (ت: 347 ق م) للسفسطائيين على اعتباره إياهم أدعياء على العلم والمعرفة، وأن ما يقدمونه لا يعدو كونه نتائج ظنية مبعثها الهوى واللذة، وهي أمور ومفاهيم ضارة بالقيم والأخلاق، واليقين والإيمان، تلك القضايا الأربع التي احتلت مكانة كبيرة في البلاغة والفلسفة الأفلاطونية[3].

وقد تعرض أفلاطون أيضا في نقده للسفسطائيين لحجاجهم المعروف الذي كانوا يعمدون فيه إلى إقناع السامعين "بما يخالف المشهور" (Paradoxe)، فرأى بأنهم يؤسسون حجاجهم ذلك على الظن، لا على الحقيقة، انطلاقا من تصورهم للخطابة التي رأوها فيه "الصانعة للإقناع".

لقد كان معظم النقد الذي وجهه إليهم في المحاورتين المذكورتين يدور حول...منطلق الحجاج ومقصده في ضوء قيمتي الحق والخير، وأراد بذلك جميعا أن يبين أن الحجاج السفسطائي لا يحرر فكر

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، ص25.

[2]-نفسه، ص27.

[3]- نفسه، ص26.

الإنسان، ولا يحقق له ما به يكون الخير. وجملة القول إن أفلاطون في نقده لخطابة السفسطائيين لم يعالج الحجاج بما هو "صناعة القول"، وإن كان هذا البعد حاضرا في مشروعه، بقدر ما نظر إليه بما هو صانع للإنسان والمجتمع[1].

وقد اعتمد أفلاطون في بناء حجاجه على المبدأ الأخلاقي المثالي الذي يُحارب المراوغة والتزييف. ويقوم هذا المبدأ على أربع قضايا هامة، تمثلت في (القيم، والأخلاق، واليقين، والإيمان). وهذا هو مركز ثقل الخلاف بينه وبين السفسطائيين؛ لأنه اعتبرهم أدعياء على العلم والمعرفة، وأن ما يقدّمونه لا يعدو كونه نتائج ظنية، مبعثها الهوى واللذة، وهي أمور ومفاهيم ضارة بمبادئه الأربعة[2].

2- 1- 2- <u>الحجاج في التراث الإسلامي</u>: عرف المسلمون الحجاج في وقت مبكّر، فقد ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعانيه المختلفة، حيث جاء بلفظ "حجاج" و"جدل" و"برهان"، ونلمسه في آيات كثيرة، ومنها قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي **حَاجَّ** إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: 258].ولقد فسر هذه الآية محمد الطاهر بن عاشور بقوله :«معنى "حاجّ" خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يُعرف لحاجَّ في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها. ومن العجيب أن الحُجّة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاجَّ لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة...وأن الأغلب أن يفيد الخصام بباطل»[3].

وقال في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[النساء: 107]: «والمجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على الخصام والحُجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك»[4].

وقال في موضع آخر: «والمجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه، فتكون في الخير كقوله: "يُجادِلُنا في قَوْمِ لُوط"، ويكون في الشر كقوله "وَلا جِدالَ في الحَجّ"[1].

---

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، ص28.

[2]- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو (ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، كلية الآداب، منوبة، تونس، (د ط)، (د ت)، ص56.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984، ج3، ص31-32.

[4]- نفسه، ج5، ص194.

كما وردت كلمة (حجج) واشتقاقاتها في طائفة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها قوله: «احتجت الجنة والنار»[2]. وورد عند البخاري: «اختصمت الجنة والنار إلى ربهما...»[3]، فجاءت احتجت واختصمت متقابلتين في المعنى...ولم تخرج في استخدامها عن المعنى المعجمي أو الاستخدام القرآني[4].

هذا عن ورود الحجاج في القرآن الكريم، والحديث الشريف. وبما أننا في مجال الحجاج اللغوي، سنكتفي بالإشارة إلى الحجاج عند النحاة، والحجاج عند البلاغيين.

2- 1- 2- 1- الحجاج عند النحاة: تعدّ العوامل النحوية من الأصول الهامة التي قامت عليها الدراسات النحوية، وقد شغلت جزءا كبيرا من تفكير النحاة؛ مما جعل منها سببا في كثرة الخلافات النحوية بين البصريين والكوفيين.

وقد ظهرت فكرة العامل النحوي منذ وقت مبكر في الدراسات النحوية، فالقارئ لكتاب سيبويه يجد أنه يحوي كثيرا من نظرية العوامل، وأن أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي قد ثبّت أصول هذه النظرية، ومدّ فروعها، وأحكمها إحكاما بحيث أخذت صورتها التي ثبتت على مرّ العصور. وعلى نهج الخليل سار نحاة البصرة في الأخذ بالعوامل النحوية، افتتنوا بها وأخذوا ينوعون فيها. ولا يُتصوَّر وجود شكل إعرابي بدونها، حتى إنهم إن لم يجدوا عاملا حسيّا، التمسوا عاملا معنويا، فهو عندهم شيء ضروري في نظم الكلام، وتأليف العبارة، وضبط أواخر الكلمات.

---

[1]-نفسه، ج12، ص60.

[2]- صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، (د ط)، ج4، ص2187، الرقم: 2846.

[3]- صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422هـ، ج9، ص134، الرقم: 7449.

[4]- هاني يوسف أبو غليون، الحجاج في النص القرآني (سور الحواميم أنموذجا)، ص09.

أما الكوفيون، فقد أخذوا بالعامل النحوي، لكن لم يشترطوا فيه ويتفننوا، كما فعلت البصرة، فقد كان العامل النحوي عند الكوفيين مأخوذا من طبيعة النص اللغوي وخصائصه، دون الدخول في فلسفة العامل النحوي؛ ولذلك لم يبالوا بعمل معمولين في معمول واحد أو العكس[1].

وقد وظّف النحاة الحجاج في محاولة حمل المتلقي على قبول قواعدهم وآرائهم النحوية، محاولين دحض حجج خصومهم من المذاهب الأخرى.

ومن ذلك اختلافهم في أصل اشتقاق "الاسم"، فقد «ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوَسْم –وهو العلامة– وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السُّمُوِّ –وهو العُلُوّ–.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه مشتق من الوَسْم؛ لأن الوَسْم في اللغة هو العلامة، والاسم وَسْمٌ على المسمى، فصار كالوسم عليه؛ فلهذا قلنا: إنه مشتق من الوَسْمِ، ولذلك قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: الاسم سِمةٌ تُوضَع على الشيء يعرف بها. والأصل في اسم وَسْم، إلا أنه حذفت منه الفاء التي هي الواو في وَسْم، وزيدت الهمزة في أوله عِوَضًا عن المحذوف، ووزنه إعْلٌ؛ لحذف الفاء منه.

وأما البصريون، فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه مشتق من السُّمُوِّ؛ لأن السُّمُوَّ في اللغة هو العلوّ، يقال: سما يَسْمُو سُمُوًّا، إذا علا، ومنه سمُّيت السماء سماء لعلوّها، والاسم يَعْلُو على المسمّى، ويدل على ما تحته من المعنى، ولذلك قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد: الاسم ما دلَّ على مُسمّى تحته، وهذا القول كافٍ في الاشتقاق، لا في التّحديد، فلمّا سَمَا الاسم على مُسمّاه وعَلَا على ما تحته من معناه دلَّ على أنه مشتقٌّ من السُّمُوِّ، لا من الوَسْمِ»[2].

ومن ذلك أيضا اختلافهم في علة إعراب الفعل المضارع؛ إذ إنه معرب بخلاف الفعل الماضي وفعل الأمر. وهم مجمعون (الكوفيون والبصريون) على أن الأفعال المضارعة معربة، ولكنهم اختلفوا في

---

[1]– عبد النبي محمد مصطفى هيبة جعفر، اختلاف النحاة ثماره وآثاره في الدرس النحوي، رسالة ماجستير، إشراف: د. علي الريح جلال الدين، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2010، ص09.

[2]– ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، (د ط)، 2009، ج1، ص27.

علة إعرابها؛ فذهب الكوفيون إلى أن علة إعرابها في دخول المعاني المختلفة والأوقات الطويلة عليها. وذهب البصريون إلى أن علة ذلك ثلاثة أوجه:

– أن الفعل المضارع يكون شائعًا فيتخصص، كما أن الاسم يكون شائعًا فيتخصص، كما في قولك: "يذهب"، فإنه يصلح للحال والاستقبال، فاختص بعد شياعه، كما أن الاسم يختص بعد شياعه، كما تقول "رجل"، فإذا قلت "سوف يذهب" اختص بالاستقبال، فاختص بعد شياعه، كما أن الاسم يختص بعد شياعه، كما تقول "رجل"، فيصلح لجميع الرجال، فإذا قلت "الرجل" اختص بعد شياعه، فلما اختص هذا الفعل بعد شياعه كما أن الاسم يختص بعد شياعه، فقد شابهه من هذا الوجه.

– أنه تدخل عليه لام الابتداء تقول: "إن زيدا ليقوم"، كما تقول "إن زيدا لقائم"، فلما دخلت عليه لام الابتداء كما تدخل على الاسم دلَّ على مشابهة بينهما.

– أنه يجري على اسم الفاعل في حركته وسكونه، فقولك "يضرب" على وزن "ضارب" في حركته وسكونه، فلما أشبه هذا الفعل الاسم من هذه الأوجه وجب أن يكون معربًا كما أن الاسم معرب[1].

فقد احتج الكوفيون في تعليل إعراب الفعل المضارع بدخول المعاني المختلفة عليه، واستيعابه الأوقات الطويلة، بينما احتج البصريون بمشابهته الاسم؛ فكما أن الاسم معرب، فهو معرب مثله لمشابهته إياه من ثلاثة أوجه.

2- 1- 2- 2- الحجاج عند البلاغيين: «كان لنظرية النظم أثر كبير في ظهور هذا اللون من الدراسات، وللنحاة العرب يد طولى في دراسة الكلام وتحليله والوقوف عند الجملة، وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف. ولعل سيبويه(180هـ) كان من أقدم الذين وقفوا عند هذه الجوانب، فدرسها بعمق في فصول كتابه الشهير وأبوابه، ولكن سيبويه والنحاة لم يسموا هذه البحوث نظما، وإنما هي قواعد تسير عليها العرب في كلامها أو إنشائها. ولا نستطيع أن ننسب إليهم بعد ذلك نظرية النظم التي حاول بعض المعاصرين أن يربطها بهؤلاء النحاة ربطا وثيقا ليجرد

[1]- ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج2، ص101.

البلاغيين الأصالة والتجريد، مع إيماننا بأن الموضوعات التي بنيت عليها هذه الفكرة كانت نحوية محضة، وقد استفاد منها البلاغيون وطوروها وصوروها أحسن تصوير»[1].

ويرى أحمد مطلوب أننا إذا أردنا أن نلتمس فكرة النظم، فإنه ينبغي أن نلتمسها في كتب أخرى غير كتب النحو. ويقف عند أقدم إشارة عثر عليها في كتب العربية، وهي عبارة ابن المقفع(ت: 143هـ) التي أشار فيها إلى صياغة الكلام. قال: «فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل وأن يقولوا قولا بديعا، فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم، وإن أحسن وأبلغ ليس زائدا على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتا وزبرجدا ومرجانا، فنظمه قلائد وسموطا وأكاليل، ووضع كل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه مما يزيده بذلك حسنا، فسمي بذلك صائغا رقيقا، وكصاغة للذهب والفضة صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي والآنية، وكالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة وسلكت سبلا جعلها الله ذللا فصار ذلك شفاء وطعاما وشرابا منسوبا إليها مذكورا به أمرها وصنعتها: فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو يستحسن منه، فلا يعجبن به إعجاب المخترع المبتدع، فإنه إنما اجتباه كما وصفنا»[2].

غير أن نظرية النظم لم تتبلور إلا مع عبد القاهر الجرجاني؛ إذ النظم عنده هو توخّي معاني النحو والسّير على قوانينه، يقول: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تُخلّ بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيدٌ منطلقٌ، وزيدٌ ينطلقُ، وينطلق زيدٌ، ومنطلقٌ زيدٌ، وزيدٌ المنطلقُ، والمنطلقُ زيدٌ، وزيدٌ هو المنطلقُ، وزيدٌ هو منطلقٌ. وفي الشرط والجزاء: إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج، أخرج، وإن خرجتَ، خرجتُ، وإن تخرج، فأنا خارج، وأنا خارج، إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج. وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك:

---

[1]- أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1999، ص84.

[2]- أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، ص84.

جاءني زيد مسرعا، وجاءني يسرع، وجاءني، وهو مسرعٌ أو وهو يسرع، وجاءني قد أسرع، وجاءني وقد أسرع، فيَعرفُ لكلٍّ من ذلك موضِعَه، ويجيءُ به حيثُ ينبغي له»[1].

3– <u>مفهوم الحجاج في الدراسات اللغوية الغربية والعربية الحديثة</u>: إن تحديد مفهوم الحجاج يختلف ويتنوع، ويصعب حصره والإحاطة به، فهو يتميز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله «إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية المنطقية، والبلاغة التقليدية، والدرايات القانونية، والمقاربة اللسانية، والخطابية المعاصرة»[2].

3– 1– <u>مفهوم الحجاج في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة</u>:

إذا كان الحجاج في الفكر القديم (الغربي والعربي) قد تموضع كآلية يتضمنها نوع معين من الخطابات، أو خطابات كثيرة مختلفة، وإذا كان قد تجسد فيما نسميه بالاستمالة والإقناع الخطابيين، فإنه في الأبحاث والكتابات الحديثة قد صار موضوعا خاصا قائما بذاته، ويتفاعل مع مجالات خاصة كذلك، كاللغويات، والفلسفة...ففي منظور بعض هذه الكتابات نجد الحجاج أو التدليل يشيران إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفحام معا، مهما كان متلقي هذا الخطاب، ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك[3].

يقدم "شاييم برلمان Chaïm Perelman" تعريفا للحجاج يجعله جملة من الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفة، وهي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع، معتبرا أن غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل، أو يهيئه للقيام بالعمل. على هذا النحو نتبين أن مؤلف "لبرلمان" و"تيتيكا" (Chaïm Perelman & Lucie Olbrechts-Tyteca) الموسوم بـ "مصنف في الحجاج –الخطابة الجديدة–"، إنما ينزل الحجاج

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ص 60.

[2]– محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2005، ص6.

[3]– هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين الرافعي)، مذكرة ماجستير، إشراف: د. جمال كديك، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، 2003، ص25.

في صميم التفاعل بين الخطيب والجمهور. وصلة هذا العمل بالخطابة الأرسطية واضحة، ولكن المؤلفين لم يكتفيا مع ذلك بمجرد الأخذ والتقليد، فلئن استندا في تعريفهما للحجاج على صناعة الجدل من ناحية، وصناعة الخطابة من ناحية أخرى، فإنهما حرصا كل الحرص على جعل الحجاج أمرا ثالثا مفارقا لهما رغم اتصاله بهما. فالحجاج حسب التعريف المذكور يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي، وإذعانه إذعانا نظريا مجردا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف، وهو يأخذ من الخطابة أيضا توجيه السلوك أو العمل والإعداد له....[1].

«لكن هذا الإنجاز البلاغي الجديد الذي حققه "بيرلمان" لم يأت من العدم، بل خرج من صلب البلاغة الكلاسيكية والأرسطية التي تلونت بالصبغة الحجاجية، فشكلت إغراء له (بيرلمان) ارتقى به إلى درجة الإعجاب حتى سماها "إمبراطورية البلاغة"، ووصفها بارث (R. Barthes) بـ"بحضارة الغرب"؛ نظرا لثرائها وغنى موروثها البلاغي القديم؛ ولهذا انطلق بيرلمان في بداية مساره البلاغي من القديم، وبالتحديد من "أرسطو"، مقتفيا في ذلك أثر التراكمية العلمية التي تشيد العلوم، غير أنه حاول بناء بلاغة جديدة تتمايز إلى حد ما عن هذا القديم تحت إطار عام هو النظرية الحجاجية التي ترادف البلاغة، مما يدفعنا إلى الإقرار بأن أرسطو وضع اللّبنات الأولى للدرس البلاغي أو (النظرية الحجاجية) في حين طورها "بيرلمان" بشكل جعلها تماشى وروح العصر، ومع التطلع إلى مصاف العلوم الإنسانية»[2].

«لقد كان هم الباحثين في جميع ما كتب عن الحجاج إبراز كيف أن البنية اللغوية هي التي يعود إليها سلطان الكلام الحجاجي، وهذا كلام قد يصدم متقبله لأول وهلة، وإنما تعمّق الباحثين في أصل نشأة البعد الحجاجي في الكلام هو الذي دفع بهما إلى مثل هذا الرأي، ولعل السبب الرئيسي كما ترى "روثا موسى" هو "اعتبارهما الحجاج عملا لغويا لا عملا خطابيا"، فما من ملفوظ إلا وهو موجه نحو نتيجة "ن" معينة، وهذا التوجيه يمثل قسما كبيرا من معناه (المفهوم Le sous-entendu)

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط2، 2011، ص21-22.

[2]- نور الدين بو زناشة، مجلة علوم إنسانية، السنة السابعة، ع:14، شتاء 2010، WWW.ULUM.NL

لذلك قال "بلونتان" إن الحجاج مع "ديكرو" يمر بثلاث مراحل، فأن نُحاجَّ يعني أن نزاوج ونحسن التوليف والتأليف بين هذه المراحل والعناصر. وهي على التوالي:

- معنى الملفوظ Le sens de l’énoncé:(مرحلة الاتجاه ونقطة الانطلاق).
- توجيهه Son Orientation:(مرحلة التوجيه).
- قوته الحجاجية La force argumentative:(مرحلة النتيجة).

هكذا تتبع "بلونتان" خطوة بخطوة تمشي "ديكرو" في مراحله الثلاث منذ تحديد معنى الملفوظ إلى توجيهه إلى أن يدرك غايته، وهي أن يكون له قوة حجاجية وحقيقة. وهذا ما غاب عن بلونتان وحظرنا، أن التوجيه يطال المراحل الثلاث منذ تحديد معنى الملفوظ إلى الإنجاز، وفي جميع هذه لمراحل لا نجد حضورا للمتخاطبين، إنما الحضور كله للغة وحدها وللملفوظ وحده فهو المعني بالتوجيه. وقد يكون هذا ما حدا بـ"بلونتان" إلى إصدار حكم في أن "نظرية الحجاج في اللغة بنيوية"، وكي نجمل الحديث في نظرية الحجاج مع "ديكرو" وصاحبه كما فعل ذلك "موشلار" من قبل نقول: إن اللغة حجاج محض، وإن الحجاج توجيه صرف، وأن هذا الحجاج تفضحه البنية اللغوية المجردة وتصريف المتكلم لملفوظه عبر عوامل حجاجية ومواضع متواضع عليها بين المجموعة المستعملة للغة واحدة»[1].

3- 2- <u>مفهوم الحجاج عند اللغويين العرب المحدثين</u>: يعد مفهوم الحجاج من المفاهيم التي دار حولها جدل كبير أدى إلى تعدد في المفاهيم؛ بسبب ظروف النشأة المتباينة، كما حدث التباس في تلك المفاهيم في الثقافة العربية تسبب فيه بعض الباحثين؛ نتيجة تناولهم له جزئيا، كاقتصارهم-مثلا- على تيار واحد دون باقي التيارات، ولو بالإشارة المقتضبة، فبدا كل تعريف من تعريفاتهم كأنه هو التعريف الجامع المانع.

وسنكتفي في هذا المقام بتعريف "أبو بكر العزاوي" الحجاج؛ لأننا نرى فيه غنى عن إيراد بقية التعريفات، حيث عرّفه بقوله: «إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب. أخرى: يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من

---

[1]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2011، ص30-31.

الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تُستنتج منها. إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبَّر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها»[1].

4- مفهوم العامل الحجاجي: «إن العامل الحجاجي باعتباره عنصرا لسانيا محضا غير قادر وحده من التضييق في الطاقة الحجاجية وتحديد النتيجة تحديدا صارما يتناسب وطبيعة الملفوظ والمعطيات الحافة به من ظروف وأعراف، وإنما القضاء على تعدد الاستلزامات والتضييق والحد من الغموض الذي يقوم به العنصر اللساني. ويطال المسلك التأويلي الذي يربط الحجة بالنتيجة ربطا متواضعا عليه إنما يكون كل هذا عبر المواضع المشتركة التي سميت مشتركة لا لافتقارها للطرافة، بل لقابليتها للاستعمال في سائر موضوعات الوجود. ومن موضوعات الوجود الحجاج؛ من هنا نلاحظ هذا التواشج والتوالج بين العامل الحجاجي الذي لا يجب الاكتفاء به، والموضع باعتباره مصفاة وعاملا رئيسيا في ربط الحجة بالنتيجة رغم أن العوامل اللسانية أيسر اكتشافا، وهي ظاهرة للعيان في بنية الملفوظ؛ لذلك عرفها "موشلار" و"ريبول" بكونها الآثار الظاهرة traces explicitesفي الخطاب. ومن الأدلة على ظهورها هي وظيفتها؛ إذ إن هذه العوامل لا تقوم بعملية التوجيه المباشر، وإنما تحد من استعمال المواضع التي تمكننا من إدراك النتائج»[2].

«ويعرف "ديكرو" و"أنسكوبر" العامل الحجاجي بقولهما: «إن وجود بعض الصرافم في بعض الجمل يعطيها توجيها حجاجيا ...للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها»، فهي حينئذ عناصر لسانية وليست مقامية مثلا، وهذا ما أكده ديكرو في كتاب السلالم الحجاجية، لكن بصيغة أخرى؛ إذ يرى أن القيمة الحجاجية للملفوظ ليست نتيجة لمداه الإبلاغي، لكن الجملة تكون حاملة للصرافم، أو تعابير، أو موجهات، إضافة إلى محتواها الإبلاغي تصلح لإعطاء وجهة حجاجية للملفوظ، تجعل المتقبل في اتجاه من الاتجاهات. والمفيد من هذين التعريفين أن العوامل هي الآلة التي نصل بها إلى

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426هـ/2006م، ص17-16.

[2]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص115-114.

النتيجة من الملفوظ، وذلك عند تقويتها للحدث التوجيهي المصرح به. وهذا ما أشار إليه "انسكوبر" في مقاله "حيوية المعنى والسلمية"؛ إذ يقول إن المصرح به يكون عادة حاملا لنتائج تخرجها للمتقبل، المتغيرات الحجاجية المحايثة". والطريف في الأمر أنه رغم عودتنا إلى جل المعاجم المختصة والموسوعات اللسانية الكبرى لم تظفر بهذا المعنى للعوامل الحجاجية رغم أن ديكرو وأنسكومبر يلحان على ما للعوامل من بعد لساني فهي عندهما من قسم الصرافم morphèmes التي لها وظيفة دفع المتقبل إلى تحديد النتيجة(ن)، وذلك عبر اكتشاف الخطة الخطابية التي يقوم عليها الملفوظ عند احتوائه على العامل الحجاجي، بل إنه ثمة من الباحثين على غرار "روث اموسى" من يرجع تناسق الخطاب وترابطه وتكامل بنيته إلى العوامل الحجاجية؛ لأنها "تساعد على اكتشاف وجهته الحجاجية"»[1].

ونستنتج من خلال مفهومي "ديكرو" و"أنسكوبر" للعامل الحجاجي بأن العوامل هي الآلة التي نصل بها إلى نتيجة من الملفوظ، وذلك عند تقويتها للحدث التوجيهي المصرح به[2].

ويعرّف قيقليون Ghiglione العامل الحجاجي في ثلاث مواضع. أما أولها، فيعرف فيه العوامل الحجاجية، بكونها (علامة، رقعة، بطاقة) étiquets إذ يرى أنه يوجد في اللغة عناصر يمكن تسميتها "عوامل"Opérateur تساعد على تحقيق إحدى وظائف اللغة، وإتمام اللعبة الحجاجية، وعلى هذا المعنى تكون العوامل عنصرا مساعدا لإظهار المنحى الحجاجي في اللغة، وأداة لتحقيق جل وظائفها. وأما ثاني المواضع التي عرّف فيها العامل الحجاجي فهو عند اعتباره العوامل "أدوات"، وذلك عند دراسته لتأثير الخطاب؛ إذ يقول "يمكن اعتبار كل خطاب ذا مدى تأثيري تضمنه أدوات لغوية تساعد المتقبّل على اكتشاف ما يعتبره الباث واقعياً صحيحا". والطريف في اعتبار العوامل أدوات هو ربطه إياها بوظيفة الخطاب الذي لا يمكن فصله عن الوظيفة التأثيرية الإقناعية، ولا يتم هذا التأثير بالإقناع إلا عبر هذه الأدوات أي العوامل الحجاجية[3].

أما ثالث هذه التعاريف، وهو بمثابة التعريف الجامع، فهو اعتباره العامل الحجاجي "العماد في عملية التواصل؛ إذ يقول "وحسب هذه الخطة تمثل العوامل فيما نرى، محركا رئيسيا من ضمن المحركات

[1] – عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص33.

[2]– نفسه، ص32.

[3]– نفسه، ص16-17.

التي تقوم عليها عملية التخاطب والملاحظة في انتقاله من تعريف العامل بكونه "علامة" إلى تعريفه بكونه "أداة وآلة" إلى تعريفه بكونه "عماد عملية التواصل أو محركها الرئيسي"، إنما هو إلحاحه على أن غاية كل خطاب إنما هو الإقناع، فلا وجود لخطاب دونما غاية إقناعية منه. ولا تتحدد هذه الغاية المركز إلاّ بهذه العوامل، وعليه فإن فيقليون عندما أراد تصنيف العوامل ودراسة أقسامها، فإنه ركن إلى مدى مساهمتها في عملية الإقناع، ولكن كل هذا لا يتم، حسب قوله، إلا في ضوء عملية التخاطب وخطة الباث في صوغ خطابه....[1].

ويعرَّف العامل الحجاجي أيضا بأنه وحدة لغوية، إذا تم إعمالها في ملفوظ معين، فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ. والتحويل الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي للملفوظ الذي يرد فيه لا يكون مستمدا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، وإنما يستمد من وظيفته التحويلية الحجاجية الخاصة، فهو لا يضيف مضمونا خبريا جديدا، وإنما غاية ما يحدثه هو شحن وتحويل المضمون الخبري القائم؛ ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الاستراتيجية الحجاجية للمتلفظ[2].

5- العوامل الحجاجية في اللغة العربية: تستعمل اللغة العربية عدة أوات نحوية، بوصفها عوامل حجاجية، حيث توظّف في الخطاب؛ لغرض إقناع المخاطب، وحمله على الإذعان لفكرة ما، أو التسليم لها. ومن تلك العوامل:

5-1- القصر: «القصر في اللغة: الحبس. قال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ﴾ [الرحمن: 62]، أي: محبوسة فيها. وأما معناه في الاصطلاح، فهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وذلك كتخصيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ [الحديد:20]. وتخصيص الخبر بالمبتدأ مثل: "ما شاعر إلا المتنبي".

وللقصر طرفان:

---

[1]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص17.

[2]- رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية (ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته)، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2013، ج1، ص435 إلى 437.

- المقصور، وهو الشيء المخصص.
- المقصور عليه، وهو الشيء المخصص به.

ففي الآية السابقة "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" خصصنا الغرور بمتاع الدنيا" وفي "لا يعلم الغيب إلا الله" خصصنا علم الغيب بالله تعالى. ف"الحياة الدنيا" مقصور عليه، و"الغرور" مقصور، و"علم الغيب" مقصور ولفظ الجلالة مقصور عليه.

ويقع القصر بين:

أ- المبتدأ والخبر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144]، وقولك: "ما أديبٌ إلا علي".

ب- بين الفعل والفاعل، مثل: "لا ينجح إلا محمد" و"ما قام إلا أنا".

ج- بين الفاعل والمفعول به، ومثال قصر الفاعل على المفعول: "ما شاهد خالد إلا الحديقة"، أما قصر المفعول على الفاعل، فمثل: "ما شاهد الحديقةَ إلا خالدٌ".

د- بين المفعولين، مثل: "ما أعطيت محمدا إلا كتابا "في قصر المفعول الأول على الثاني، أما قصر المفعول الثاني على الأول، فمثل: "ما أعطيت كتابا إلا محمدا".

ه-بين الحال وصاحبها مثل: "ما جاء راكضا إلا محمد" في قصر الحال على صاحبها، أما قصر صاحب الحال عليها، فمثل: "ما جاء محمدا إلا راكضا"»[1].

ويسميها البعض بأم طرق القصر، وهي بعبارة النحاة القدامى متمحضة له وحكر عليه خصها الجرجاني في الدلائل بالذكر أكثر من مرة؛ إذ يقول: «اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره»[2].

ويطلق عليه مصطلح "الحصر" أيضا، بمعنى المنع من التجاوز، وحبس الشيء في جهة معينة. ويعرّف القصر عند علماء البلاغة بأنه «تخصيص أمر بأمر بإحدى طرق القصر المعروفة»[3]. والمقصود

---

[1]- أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، ص169

[2]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص54.

[3]- حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي (تأصيل وتقييم)، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط2، 2004، ص172.

بتخصيص أمر بأمر تخصيص المقصور عليه بالمقصور، وفق طرق القصر المعروفة في اللغة العربية. وحددها علماء المعاني بأربعة أساليب، وهي:

- النفي والاستثناء، وإنما، والعطف، والتقديم والتأخير.

ويعدّ القصر أحد أهم العوامل الحجاجية التي تبرز بوضوح وجود الحجاج داخل اللغة، وتظهر معه بجلاء وظيفة تقوية الحجة، وحصر وتقييد التأويل التي قال بها ديكرو.

5- 1- 1- القصربـ (ما...إلا): «ويطلق عليه القصر "بالنفي والاستثناء" ويكون المقصور عليه في هذه الطريقة بعد أداة الاستثناء، كقوله تعالى:﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144].وقوله:﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: 15]. أي: لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب كما يكون ظاهر حال المدعي إذا ادعى بل، أنتم عندنا كاذبون فيها. ومنه: "ما محمد إلا شاعرا". ووجه القصر فيه أنه متى قيل: "ما محمد" توجه النفي إلى صفته، لا ذاته؛ لأن أنفس الذوات يمتنع نفيها، وإنما تنفي صفاتها، وحيث لا نزاع في طوله وقصره "وما شاكل ذلك، وإنما النزاع في كونه شاعرا، أو كاتبا تناولهما النفي، فإذا قيل: "إلا شاعر" جاز القصر»[1].

ويعدّ هذا النوع من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية، ذلك التركيب الذي يتضمن الأداتين (ما...إلا) في ترتيب الحجج في سلم واحد؛ إذ إن (ما...إلا) عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه بفعل شيء ما، مثل الحث على التبرع، أو شراء سلعة ما، أو التقليل من قيمة شيء ما، كما في الخطابات الآتية:

- لماذا تنازع الناس، فما حصتك من الإرث إلا قطعة أرض صغيرة؟
- نحن الرابحون، فما ثمن هذه الحقيبة إلا ثلاثون ريالا.
- ليست هذه الرحلة ممتعة، فما مدتها إلا تسعة أيام[2].

وتستعمل الأداة (ما ...إلا) للحصر، ومثاله:

---

[1]- أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، ص172-173.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص520.

– الامتحان الشهر المقبل.

– ما الامتحان إلا الشهر المقبل.

ويلاحظ من المثالين الواردين أعلاه، أنه عندما أدخل العامل الحجاجي "القصر" (ما...إلا) على المثال الثاني، حُدّد عدد التأويلات المؤدية إلى النتيجة المقصودة، ففي المثال الأول نتحصل من خلاله على نتائج متعددة، بل ومتضادة، ومقبولة، القائلة بـ (تأجيل المراجعة أو تعجيلها). أما المثال الثاني، فإنه وبشاهد القصر (ما ...إلا)، يدلّ على النتيجة الضمنية القائلة بـ (تأجيل المراجعة).

وهناك من يستعمل (ما...إلا) ليضع ذاته في أدنى السلم مثل:

– أنت الخير والبركة، فأنت موجه عظيم، ورائد متميز.

– ما أنا إلا موظف بسيط.

فهي حجة قوية له على التواضع، كما كان يردد أحد الوزراء.

– ما أنا إلا طالب اقتصاد بسيط[1].

5- 1- 2- القصر بـ "إنّما": ويكون فيه المقصور عليه مؤخرا وجوبا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

والدليل على أن "إنّما" تفيد القصر أمور:

الأول: كونها متضمنة معنى "ما" و"إلا" لقول المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾[البقرة: 73] بالنصب، معناه: "ما حرم عليكم إلا الميتة".

الثاني: لقول النحاة إن " إنما" لإثبات ما يذكر بعدها، ونفي ما سواه.

الثالث: لصحة انفصال الضمير معها مثل: "إنما يضرب أنا"، أي: "ما يضرب إلا أنا"[2].

ولعل عبد القاهر الجرجاني (ت: 471 هـ) أول من اهتم بظاهرة القصر في اللغة العربية؛ وذلك في كتابه (دلائل الإعجاز) في سياق حديثه عن استعمالات "إنما" ومعانيها المختلفة «اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها، إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره. فإذا قلت: "إنما جاءني زيد"، عقل منه

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص520.

[2]- أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، ص173.

أنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره. فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك: "جاءني زيد لا عمرو"، إلا أن لها مزية، وهي أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة وفي حال واحدة. وليس كذلك الأمر في: "جاءني زيد لا عمرو"، فإنك تعقلهما في حالين ومزيّة ثانية، وهي أنها تجعل الأمر ظاهرا في أنّ الجائي "زيد"، ولا يكون هذا الظهور إذا جعلت الكلام "بلا" فقلت: "جاءني زيد لا عمرو"»[1].

ومما قاله ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: 11]: «أفاد إنما هنا قصر الموصوف على الصفة، ردا على قول من قال لهم لا تفسدوا؛ لأن القائل أثبت لهم وصف الفساد إما باعتقاد أنهم ليسوا من الصلاح في شيء، أو باعتقاد أنهم خلطوا عملا صالحا وفاسدا، فردوا عليهم بقصر القلب، وليس هو قصرا حقيقيا؛ لأن قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقيا، ولأن حرف "إنما" يختص بقصر القلب كما في دلائل الإعجاز، واختير في كلامهم حرف "إنما"؛ لأنه يخاطب به مخاطبٌ مُصِرٌّ على الخطأ كما في دلائل الإعجاز، وجعلت جملة القصر اسمية لتفيد أنهم جعلوا اتصافاتهم بالإصلاح أمرا ثابتا دائما إذ من خصوصيات الجملة الاسمية إفادة الدوام»[2].

وقال عز الدين الناجح، معلّقا على تفسير هذه الآية: «ولقد وردت "إنما" في الآية المذكورة في سياق حجاجي بعد قول من قال من المؤمنين لبني إسرائيل "لا تفسدوا في الأرض" فما كان من بني إسرائيل إلا أن ردوا بقلب رأي خصومهم وما كان هذا القلب ليعبر عنه بغير "إنما" لهذا قال عنها ابن عاشور "أفادت قصر الموصوف على الصفة ردا على قول من قال لهم لا تفسدوا"»[3].

وقد وضح السكاكي (ت: 626هـ) الفرق بين العامل "إنما" وبين النفي والاستثناء؛ حيث إن النفي والاستثناء أصل في باب القصر، و"إنما" فرع، والتقديم والتأخير في النفي والاستثناء غير مُلبس وبالعكس مع إنما، فإنه مُلبس. يقول: «وكذلك قدر "إنما هذا لك" تقدير: "ما هذا إلا لك"، و"إنما لك هذا" تقدير: "ما لك إلا هذا"، حتى إذا أردت الجمع بين: إنما وطريق العطف؛ فقل: إنما هذا

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص219-220.

[2]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص285.

[3]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص54- 55.

لك لا لغيرك، و: إنما لك هذا لا ذاك، و: إنما يأخذ زيد لا عمرو، و: إنما زيد يأخذ لا يعطي. ومن هذا يعثر على الفرق بين "إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ" وبين إِنَّما يَخْشَى العُلماءُ مِنْ عِبادِهِ اللهَ، بتقديم المرفوع على المنصوب، فالأول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء، والثاني يقتضي انحصار خشية العلماء على الله. واعلم»[1].

5- 1- 3- القصر بالتقديم والتأخير: يعد التقديم والتأخير في اللغة العربية من طرائق القصر، ويأتي على وجهين: الأول على نيّة التأخير، والثاني ليس على نيّة التأخير، وقد بينها عبد القاهر الجرجاني في قوله: «وأعلم أن تقديم الشيء على وجهين: تقديم يقال: إنه على نية التأخير. وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدإ، إذا قدمته على المبتدإ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، كقولك: منطلق زيد. وضرب عمرا زيد. معلوم أن "منطلق" و "عمرا" لم خرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا مبتدأ ومرفوعا بذلك، وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله، كما يكون إذا أخرت.

وتقديم لا على نية التأخير. ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا. ومثاله: ما تصنعه بزيد والمنطلق، حيث تقول مرة: "زيدٌ المنطلقُ". وأخرى: "المنطلقُ زيدٌ". فأنت في هذا لم تقدم "المنطلق" على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدإ كما كان، بل على أن تنقله على كون خبرا إلى كونه مبتدأ. وكذلك لم تؤخر "زيد" على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا.

وأظهر من هذا قولنا: "ضربت زيدا" و"زيدا ضربته". لم تقدم "زيدا" على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان، ولكن على أن ترفعه بالابتداء، وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له»[2].

---

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2،1407هـ / 1987م، ص300.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص77.

وفي التقديم والتأخير يكون المقصور عليه هو المقدم، فمن قصر الموصوف على الصفة إفرادا قولك: "شاعر هو"، لمن يعتقده شاعرا وكاتبا.

ومن قصر الموصوف على الصفة قولك: "أنا كفيت مهمك"، بمعنى: لا غيري، لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمة دونك. وهذه الطرق الأربع تختلف من وجوه:

الأول: أن دلالة الثلاث الأول دون الرابعة.

الثاني: أن الأصل في العطف أن يدل على المثبت والمنفي جميعا بالنص، فلا يترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصاص، كما إذا قيل: "محمد يعلم النحو والصرف والعروض والقوافي"، أو "محمد يعلم النحو، وخالد وبكر وعمرو" فتقول: فيهما " محمد يعلم النحو لا غير"، وفي معناه " ليس إلا" أي: "لا غير النحو، ولا غير محمد، وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنص على المثبت دون المنفي.

الثالث: أن النفي لا يجامع الأول لأن شرط المنفي ب "إلا" ألا يكون منفيا قبلها بغيرها ويجامع الآخرين، فيقال: "إنما زيد كاتب لا شاعر"، و"هو يأتيني لا محمد".

الرابع: أن أصل النفي والاستثناء أن يكون ما استعمل له مما يجهله المخاطب وينكر، كقولك لصاحب وقد رأيت شبحا من بعيد: "ما هذا إلا محمد"، إذا وجدته يعتقده غير محمد ويصر على الإنكار. وعليه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 62].

وهناك طرق أخرى للقصر غير أن البلاغيين لم يتفقوا عليها كل الاتفاق، ولذلك تظهر الوجوه الأربعة عمدة هذا الاسلوب[1].

5- 2- التوكيد: تُعدّ أدوات التوكيد من الأدوات اللغوية للسلم الحجاجي التي تُضيف إلى المعنى الأول (القول الخالي من أدوات التوكيد "الخبر الابتدائي") معانٍ لم يفدها الإسناد الخبري له؛ وهذا لأن كل توكيد يزاد فيدخل على الإسناد الخبري الابتدائي، تحصل بفضله بلاغيا ودلاليا زيادة في المعنى الأصلي لذلك الإسناد[2]، فمثلا لو قلنا لأحمد:

---

[1]- أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، ص175.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2008، ص290.

1- تمكّنتَ من الخصم.

2- قد تمكّنتَ من الخصم.

فإننا نلاحظ من المثالين (1و2) السابقين أن الجملة(2) احتوت على أداة توكيد، وهي "قد"، وهذه الزيادة مست اللفظ والمعنى، حيث عملت على إضافة معنى إلى المعنى الوارد في الجملة (1) –الخبر الابتدائي- وهو (إسناد التمكن من الخصم)، وبالتالي غيّرت درجة المعنى بدفع الشك والإنكار.

5- 3- لا النافية: يُعد النفي بـ "لا" من الصيغ التعبيرية التي لها دور حجاجي أثناء طرح القضايا. «هي التي تدل على نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها على سبيل الاستغراق، أي يراد بها نفيه عن جميع أفراد الجنس نصا، لا على سبيل الاحتمال. ونفي الخبر عن الجنس يستلزم نفيه عن جميع أفراده...وتسمى "لا" التبرئة أيضا، لأنها تفيد تبرئة المتكلم للجنس وتنزيهه إياه عن الانتصاف بالخبر. فإذا قلت "لا رجل في الدار" كان المعنى: لا من رجل فيها، ليس فيها أحد من الرجال لا واحد ولا أكثر»[1].

ومثال ذلك قصر الموصوف على الصفة إفرادا: "محمد شاعر، لا كاتب".

ومثال قصر الموصوف على الصفة قلبا: "محمد قائم، لا قاعد".

ومثال قصر الصفة على الموصوف إفرادا أو قلبا بحسب المقام: "محمد قائم، لا خالد"[2].

6- وظائف العوامل الحجاجية في الخطاب: تُعدّ الروابط والعوامل هي المؤشر الأساسي والبارز وهي الدليل القاطع على أن للحجاج مؤشرا، في بنية اللغة نفسها[3].

إن العوامل الحجاجية من أبرز مظاهر الحجاج داخل اللغة، وهي تقوم بعدة وظائف حجاجية داخل الخطاب، وسنحاول ذكر بعض منها فيما يأتي:

---

[1]-عبد الرزاق موقاري، أساليب النفي في القرآن الكريم (دراسة نحوية بلاغية سورة غافر نموذجا)، مذكرة ليسانس، إشراف: د. رابح العربي، جامعة العقيد أكلي محند والحاج، البويرة، الجزائر، 2012، ص07.

[2]-أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، ص174.

[3]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426هـ/ 2006م، ص55.

6- 1- توجيه الحجاج: من أهم وظائف العوامل الحجاجية أنها توجّه الحجاج وجهة معينة، «فالمخاطب يلقي مجموعة من الحجج، تخلف أثرا معينا لدى المتلقي، هذا الأثر هو نتيجة لتوجيه الكلام وجهة معينة، وهذا التوجيه يأتي نتيجة فاعلية الروابط الحجاجية داخل النسيج اللغوي، فعند استعمالنا لخطاب في مقام معين، فخطابنا (يفرض ضربا) من النتائج دون غيرها، وهذا يستلزم أن القول لا يصلح لأن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك، إلا بموجب الوجهة الحجاجية المسجلة فيه، ومأتى هذه الوجهة الحجاجية هو المكونات اللغوية المختلفة للجملة، التي تحدد معناها، وتضيق أو توسع من احتمالاتها الحجاجية، وهذه المكونات اللغوية هي التي تحدد طرق الربط بين النتيجة وحجتها»[1].

فنرى أن العوامل لا تحجب المحتوى الخبري للخطاب، بل تزيده بروزا ووضوحا. ونحن مثلا ندخل العامل (ما ...إلا) على الجملة الآتية:

- هي أيام معدودات، وينتهي الموسم الدراسي.
- **ما** هي **إلا** أيام معدودات، وينتهي الموسم الدراسي.

نرى أن هذا العامل أبرز أكثر المحتوى الخبري للخطاب، وهو قرب انتهاء الفصل الدراسي بالإضافة إلى الوظيفة الحجاجية التي قام بها هذا العامل، وهي حصر مجال التأويل.

6- 2-الإعانة على فهم المعنى: يعدّ العامل الحجاجي عنصرا يعين على فهم المعنى الظاهر والخفي للجملة. وهو ما اعتبرته أوريكيوني في كتابها الضمني ما به يقوم المفهوم لأن المفهوم عنصر يكشف عنه السياق باعتباره عنصرا لسانيا وهنا تظهر مزية العامل في تمكيننا من فك شفرة الملفوظ وإدراك مفهومه[2]. ومن هذا يتبين لنا أن القيمة الحجاجية للعوامل تظهر من خلال تقويتها للحدث التوجيهي، وليس لمضمونها الإخباري.

ومثال ذلك قولك: 1- الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع.

---

[1]- عبد السلام بوفار، الروابط والعوامل الحجاجية في رسائل الجاحظ، مذكرة ماجستير، إشراف: ذهبية حمّو الحاج، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2016، ص50.

[2]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص174.

2- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع.

نلاحظ أن القول (1) سليم ومقبول تماما، أما القول (2)، فيبدو غريبا، ويتطلب سياقا خاصا وأكثر تعقيدا حتى نستطيع تأويله، وبعبارة أخرى، فهو يتطلب مسارا تأويليا مختلفا.

وإذا عدنا إلى المثال(1)، فسنجد أن له إمكانات حجاجية كثيرة، فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل: الدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء، هناك متسع من الوقت، وبعبارة أخرى فهو يخدم نتيجة من قبيل "أسرع" كما يخدم النتيجة المضادة لها "لا تسرع"، لكن عندما أدخلنا عليه العامل الحجاجي "لا...إلا"، فإن إمكاناته الحجاجية تقلصت، وأصبح الاستنتاج العادي والممكن هو: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع[1].

6- 3- تحقيق مبدأ الإفادة: للعامل الحجاجي نصيب الأسد في تحديد مبدأ الإفادة، وذلك حسب المنوال الاستدلالي بناء على أن الاستدلال شرط الإفادة، فلا تواصل دون عامل حجاجي، ولا إفادة دون تواصل. فالمسؤول عن نجاعة الملفوظ، وإفادته حينئذ، إنما هو العامل الحجاجي الذي يبرز الأثر العرفاني ويكثّره، ويساهم مساهمة فاعلة في تقليص الجهد العرفاني في بث الملفوظ، وفكّ شفرته، علاوة على تيسيره لعملية التوجيه[2].

ومثال ذلك: خالد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان.

عند ملاحظة الجملة السابقة نجد أن الحجة، وهي "اجتهاد خالد" كانت سببا في الوصول إلى النتيجة، وهي نجاحه في الامتحان، وانتقاله إلى المستوى الأعلى.

6- 4- تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية: وذلك بتقليص ما يشوبه من غموض أو تعدد في التأويلات التي يجعلها العامل الحجاجي محددة و ذلك بسرعة "ربطه بين الحجة والنتيجة". ومثال ذلك قولك: الجو بارد، لا تخرج.

فهنا المتكلم يحدد النتيجة المقصودة، وهي: "منع المخاطب من الخروج"، ويعمل على تقليص التأويلات الأخرى مثلا: - لبس المعطف.

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص28 -29.

[2]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص171.

- الخروج إلى النزهة.
- غلق النافذة.

6- 5- تحديد التوجيه الحجاجي للجملة: للعوامل الحجاجية أثر بارز في الحجاج اللغوي؛ إذ تكمن وظيفتها الحجاجية في تحديد التوجيه الحجاجي للجملة، وذلك بانتقائها صيغا محورية ملائمة للسلسلة الحجاجية[1].ومثال ذلك قولك: أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

فإذا نظرنا إلى هذه الجملة، فإننا سنجدها تتكون من حجة ونتيجة، والحجة يتم تقديمها لتؤدي إلى نتيجة معينة، فالتعب يستدعي الراحة ويقنع النفس أو الغير بضرورتها. فالتعب دليل وحجة على أن الشخص المعني بالأمر بحاجة على أن يرتاح ويستريح[2].

6- 6- القضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج: وذلك بنقل المتقبل من التعدد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد من الملفوظ؛ فلا يضيع بين النتائج التي يؤدي إليها القول الحجّة، فلا تتعدد تبعا لذلك المسالكُ التأويلية؛ إذ يعمد العامل الحجاجي إلى حصرها حتى تقود إلى نتيجة واحدة، وذلك بالانتقال بالملفوظ من الإبلاغية إلى الحجاجية[3].

ومثال ذلك قولك: ما محمد إلا كاتب. فهنا تحدد النتيجة المقصودة، وهي كون أن محمد "كاتب"، حيث إن السامع يلغي كل الاستلزامات الأخرى وهي كون محمد شاعرا، أو أستاذا، أو مذيعا...أو غيرها.

6- 7-قدح المواضع وتنشيطها: فالموضع يكون هو العمدة في ارتباط (ق1) أي: المعطى بالنتيجة (ق2)، وعلاوة على وظيفته التعاقدية هذه بين الحجة والنتيجة، فإنه يعتبر ضامنا من ضمانات تسلسل الخطاب، وعنصر من عناصر تناسق الخطاب[4].

ومثال ذلك: (ق1) إذا جاء خالد.

(ق2) فسينطلق محمد.

---

[1]- إزاييط بنعيسى، البعد التداولي في الحجاج اللساني (ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته)، ج2، ص254.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص18.

[3]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 35.

[4]- نفسه، الصفحة نفسها.

فهنا نلاحظ أن (ق1) وهو "مجيء خالد" حتما وبالضرورة أن تكون النتيجة(ق2)، وهي "انطلاق محمد"، فمجيء خالد سبب في انطلاق محمد.

6- 8- تقوية التوجيه نحو النتيجة: للعامل الحجاجي دورٌ كبير في تقوية التوجيه نحو النتيجة (ن)، وذلك على صعيد ما يسمى بالمربعات الحجاجية، والسلالم الحجاجية التي يمكن اعتبارها من آليات البرهنة على مقولة التوجيه الحجاجي وحجاجية اللغة[1].

ومثال ذلك ما يأتي:

1- سقراط إنسان.

2- كل إنسان فان.

- النتيجة(ن) سقراط فان.

7- الفرق بين العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية: وقبل مغادرة هذا المقام، نرى أنه من الضروري أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية: الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، فالروابط الحجاجية تربط بين قولين، أو بين حجتين (أو أكثر) على الأصح، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات الآتية: بل، ولكن، ولاسيما، وإذن، ولأن، وبما أن، وإذ...[2].

مثال ذلك قولنا: سينجح زيد؛ لأنه مجتهد.

أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الامكانات الحجاجية التي تكون لقول ما. وتضم مقولة العوامل الحجاجية أدوات من قبيل: ربما، وتقريبا، وكاد، وقليلا، وكثيرا، وما...إلا، وجل أدوات القصر"[3].

ومثال ذلك: ما محمد إلا كاتب.

[1]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص35.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

إن الروابط الحجاجية تختص بالربط بين القضيتين البسيطتين لتصبح قضية كبرى، في حين أن العوامل تختص بالقضية الصغرى[1].

وقد بين "ديكرو" أن محل وجود العوامل هو القول الواحد عكس الروابط التي تقع بين الحجج والنتائج. ويبرز الاختلاف بين العوامل والروابط في كيفية اشتغال كل منهما داخل الخطاب، حيث تكون وظيفة العوامل الحجاجية في زيادة الطاقة الحجاجية للخطاب[2].

ويمكن تلخيص تلك الفروق في الجدول الآتي:

العوامل الحجاجية	الروابط الحجاجية
– لا تربط بين قولين، أو بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج.	– تربط بين قولين، أو بين حجتين.
– محل وجود العوامل هو القول الواحد.	– تختص بالربط بين قضيتين بسيطتين لتصبح قضية كبرى.
– تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما.	– تسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية العامة للحجاج.
– وظيفتها الأساسية: تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية، وتوجيه الحجج نحو النتيجة.	– وظيفتها الأساسية: الربط بين الحجج والنتائج.

[1]– عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص23.

[2]– أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

الفصل الثاني

العوامل الحجاجية ووظائفها في الأربعين النووية.

1- العامل الحجاجي القصر بالنفي والاستثناء.

2- العامل الحجاجي التوكيد.

3- العامل الحجاجي النفي بـ "لا".

- **تمهيد**: تطرقنا في الفصل السابق إلى الحجاج باعتباره من الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقّي على الاقتناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع[1].

والحجاج حسب "أبو بكر العزاوي" هو تقديم الحجج والأدلة المؤدّية إلى نتيجة معينة، ويتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تُستنتج منها[2].

والمخاطِبُ في رسالته اللغوية يسعى إلى إقناع المخاطَب برأيه أو بوجهة نظره، فيلجأ إلى توظيف عناصر لغوية؛ لأجل التأثير في المخاطَب، وحمله على الإذعان والتسليم بذلك الرأي.

وتلك العناصر اللغوية التي يُوظّفها المُخاطِب لتحقيق تلك الغاية هي ما يُعرف بالعوامل الحجاجية؛ فالعامل الحجاجي إذن هو بمثابة الآلة التي نصل بها إلى نتيجة من الملفوظ، وذلك عند تقويتها للحدث التوجيهي المصرَّح به[3].

إن العوامل الحجاجية ترتبط بوظيفة الخطاب الذي لا يمكن فصله عن الوظيفة التأثيرية الإقناعية، ولا يتم هذا التأثير والإقناع إلا عبر هذه الأدوات، أي: العوامل الحجاجية[4].

لقد أرسل الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- لهداية الناس إلى طريق الحق، وإخراجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان، وقد بيّن الله تعالى لرسوله الكريم طرائق الدعوة في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

وقد وظّف الرسول -صلى الله عليه وسلم- العوامل الحجاجيّة في أحاديثه، باعتبارها أدوات لغوية تضطلع بوظيفة التأثير والإقناع؛ لحمل المتلقّي على الاقتناع أو الزيادة في حجم ذلك الاقتناع.

وسنتناول في هذا الفصل بالدراسة بعض العوامل الحجاجية التي وظّفها الرسول-صلى الله عليه وسلم- في أحاديثه المعروفة بـ "الأربعين النووية"، محاولين الوقوف على قيمها الإقناعية، ووظائفها الحجاجية.

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص21-22.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص16.

[3]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص32.

[4]- نفسه، ص16-17.

1- العامل الحجاجي القصر بالنفي والاستثناء: يُعرّف القصر بأنه: «تخصيص أمر بآخَرَ بطريق مخصوص»[1]. ومن طرقه: "النفي والاستثناء".

1- 1- (لا ...إلا): وهذا النوع من الاستثناء يُسميّه النحاة بـ "الاستثناء المفرَّغ": وهو نوع من أنواع الاستثناء الثلاثة، لا يُذكر فيه المُستثنى منه، ولا يكون إلا بعد نفي أو شبه نفي. وسمّي مُفرَّغا؛ لأن ما قبل "إلا" قد تفرّغ للعمل فيما بعدها. ولا يُعرب الاسم الواقع بعد "إلا" مستثنى، وإنما يُعرب حسب موقعه من الجملة. قال ابن مالك:

وإنْ يُفَرَّغْ سابِقٌ "إلا" لما***بَعْدُ يَكُنْ كما لو "إلّا" عُدِما[2]

ومن الأحاديث التي وظف فيها العامل الحجاجي (لا...إلا) الحديث العاشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنَّ اللهَ تَعالى طَيِّبٌ **لا يَقْبَلُ إلّا طَيِّباً**، وَإنَّ اللهَ أَمَرَ المؤْمنينَ بِما أَمَرَ بِهِ المُرسَلين، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: 51] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ، يا رَبِّ يا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرامٌ، وَغُذِّيَ بِالحَرامِ فَأَنَّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ»[3].

يقول ابن دقيق –رحمه الله– في شرح هذا الحديث: هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها قواعد الإسلام ومباني الأحكام، وفيه الحثّ على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره، وإن المأكول والمشروب والملبوس ونحوها ينبغي أن يكون حلالا خالصا لا شبهة فيه، وإنّ من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره، وفيه أن العبد إذا أنفق نفقة طيبة، فهي التي تزكو وتنمو. وأن الطعام اللذيذ غير المباح يكون وبالا على آكله ولا يقبل الله عمله[4].

[1]– علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع)، دار الفكر، بيروت، ط1، 2006، ص181.

[2]– ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، (د ط)، 2004، ج2، ص185.

[3]– محمد بن صالح العثيمين، شرح الأربعين النووية، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط3، 2004، ص163.

[4]– جمع من العلماء، شرح الأربعين النووية، دار نور الكتاب، القبة، الجزائر، ط1، 2010، ص261.

قوله: «إنَّ الله تعالى طيّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طيّباً» يدلُّ على أنَّ من أسماء الله الطيّب، ويقبل من الأعمال ما كان موصوفاً بالطِّيب، وهو عام في جميع الأعمال، ومنها الكسب، فلا يعمل المرء إلاَّ صالحاً، ولا يكتسب إلاَّ طيّباً، ولا ينفق إلاَّ من الطيِّب[1].

1- 1- 1- الوظيفة الحجاجية للعامل "لا...إلّا" في الحديث: يُبيّن الرسول –صلى الله عليه وسلّم- في هذا الحديث شرط قبول العمل عند الله تعالى، فحصره في صفة "الطّيبة": «إِنَّ اللهَ تَعالى طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلّا طَيّباً»؛ موظّفا النفي والاستثناء (لا...إلا)؛ بوصفه عاملا حجاجيّا يوجِّهُ إلى النتيجة المقصودة من الملفوظ، وذلك بتقويته للحدث التوجيهي.

وقد أدّى هذا العامل الحجاجي في الحديث مجموعة من الوظائف، أهمّها:

أ- توجيه الحجاج: لقد قام العامل الحجاجي (لا...إلا) في هذا الحديث بتوجيه الحجاج نحو النتيجة (وجوب تحرّي الحلال الطيّب) دون غيرها من النتائج. فلو قيل: إنّ اللهَ طيّبٌ يقبلُ الطيّب، لجاز قبوله غير الطيّب أيضا.

ب- تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية: بيّن السكّاكي قديما المواقف التي يُوظّف فيها القصر بالنفي والاستثناء، فقال: «وطريق النفي والاستثناء يُسلَكُ مع مُخاطَبٍ تَعتقدُ فيه أنه مخطئ، وتراه يُصِرُّ...وما قال الكفار للرسل: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ إلّا والرسل عندهم في معرض المنتفي عن البشرية، والمنسلخ عنه حكمها، بناء على جهلهم أن الرسول يمتنع أن يكون بشراً»[2].

وإذا ما تمعنّا في الحديث، وجدنا بأن العامل الحجاجي (لا...إلّا) قد أدّى وظيفة تقوية الطاقة الحجاجية للملفوظ، وذلك بنفي تعدد التأويلات؛ حيث حصر النتيجة في (وجوب تحرّي الحلال الطيّب)، حيث جعلها محددة، وذلك بسرعة "ربطه بين الحجة والنتيجة".

ق1: إنّ اللهَ طيّبٌ (حُجّة).

ق2: لا يقبل إلا طَيّبا (نتيجة)

---

[1]- عبد المحسن العباد البدر، فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ط1، 2003، ص54.

[2]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص294.

ج- **قدح الموضع وتنشيطه:** يكون الموضع هو العمدة في ارتباط (ق1) أي: المعطى بالنتيجة (ق2)[1]،والعامل الحجاجي في هذا الحديث ضمن تسلسل الخطاب، وتناسقه؛ وذلك بربطه بين المعطى والنتيجة:

- ق1 (المعطى): إنَّ اللهَ طَيّب.
- ق2 (النتيجة): لا يقبل إلا طيّبا.

د- **تقوية التوجيه نحو النتيجة:** لقد كان للعامل الحجاجي دورٌ كبير في تقوية التوجيه نحو النتيجة المتضمّنة في الحديث (وجوب تحرّي الحلال)، وذلك عبر ما يعرف بالسلالم الحجاجية:

ق1: إنَّ اللهَ طَيّب.

ق2:لا يقبل إلا طيّبا.

ن: على المسلم أن يتحرّى الحلال؛ لقبول ما يتقرّب به إلى الله، وقبول دعائه.

1-2- العامل الحجاجي (ما...إلا): هذا العامل من أساليب القصر، استعملت فيه **"ما" النافية بدل "لا"**. وهو استثناءٌ مفرَّغ يُعرب فيه المستثنى حسب موقعه من الجملة. ففي قوله تعالى: ﴿وَ**ما** مُحَمَّدٌ **إِلَّا** رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144]، فإن كلمة "محمد" تعرب: مبتدأ، ورسول: خبر[2]. وهو قصر موصوف على صفة؛ «فمعناه: محمدٌ مقصورٌ على الرسالة، لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك»[3].

ومن الأحاديث التي ورد فيها هذا العامل الحجاجي (ما...إلا) الحديث السادس والثلاثون من الأربعين النووية: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «...و**ما** اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيوتِ اللهِ يَتْلونَ كِتابَ اللهِ وَيَتَدارَسونَهُ بَيْنَهُمْ **إلّا** نَزَلَتْ عَلَيْهُمُ السَّكينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عِنْدَهُ...»[4]

---

[1]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 35.

[2]- ينظر: محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986، ص171.

[3]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص289.

[4]- العثيمين، شرح الأربعين النووية، ص384.

يبيّن الرسول –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث فضلَ الاجتماع في المسجد؛ لمدارسة كتاب الله عزّ وجلّ. قال ابن دقيق في شرح الحديث: «هذا دليلٌ على فضلِ الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد. و"السّكينة" ها هنا قيل: المراد بها الرحمة، وهو ضعيف؛ لعطف الرحمة عليها. وقال بعضهم: السكينة الطمأنينة والوقار، وهذا أحسن. وفي قوله: "وما اجتمع قوم" هذا نكرة شائعة في جنسها كأنه يقول: أيّ قوم اجتمعوا على ذلك، كان لهم ما ذكره من الفضل كلّه، فإنه لم يشترط –صلى الله عليه وسلم– هنا فيهم أن يكونوا علماء، ولا زهاداً، ولا ذوي مقامات»[1].

1– 2– 3– الوظيفة الحجاجية للعامل "ما...إلا" في الحديث: استعمل هذا الحديث العامل (ما...إلا)، وكان بالإمكان أن يقول: إذا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيوتِ اللهِ يَتْلونَ كِتابَ اللهِ وَيَتَدارَسونَهُ بَيْنَهُمْ، نَزَلَتْ عَلَيْهُمُ السَّكينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ. فهذا جائزٌ في اللغة، إلا أنه لا حصر فيه. فلما استعمل الحصر (لا...إلا)، أدى عدة وظائف حجاجية، وتتلخص في الآتي:

أ– تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية: أدى العامل الحجاجي (ما...إلا) وظيفة تقوية الطاقة الحجاجية للملفوظ؛ حيث أزال أي إبهام في المعنى، وجعل الجملة لا تقبل تعدّد التأويلات، وذلك بسرعة "ربطه بين الحجة والنتيجة"، حيث إن أيَّ جماعة من المسلمين اجتمعوا في أيّ بيتٍ بيوت الله يتلون القرآن ويتدارسونه، فإن نتيجة ذلك أن تُحيط بهم الملائكة، ويُنزل اللهُ عليهم الرحمة والسكينة.

ب– تقوية التوجيه نحو النتيجة: كما كان لهذا العامل الحجاجي الدور الأكبر في تقوية التوجيه نحو النتيجة وهي (إحاطة الملائكة بالذين يجتمعون في بيت الله يتدارسون كتابه، ونزول السكينة عليهم، وغشيان الرحمة لهم)؛ ففي قوله: "وما اجتمع قومٌ" بتنكير كلمة "قوم"، يجعلها عامة تشمل أيّ قوم اجتمعوا على ذلك، فإنه يكون لهم ما ذكره من الفضل كله، فإنه لم يشترط –صلى الله عليه وسلم– هنا فيهم أن يكونوا علماء، ولا زهاداً، ولا ذوي مقامات.

1– 3– العامل الحجاجي (لا...حتّى): يتكوّن هذا العامل الحجاجي من "لا" النافية، و"حتّى" التي تُفيد انتهاء الغاية؛ لأنها مقدّرة بـ "إلى...أن"[2]. قال السيوطي: «(حتّى كإلى) فِي انْتِهَاء

---

[1]– ابن دقيق، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص120–121.

[2]– ينظر: الرماني، معاني الحروف، تح: عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ط1، 2005، ص167–168.

الغَايَة (لَكِنّ) (إِلَى) أَمْكَنُ مِنْهَا؛ ولذلك خالفتها في أشياء»[1].فإذا قلت: لا أسافرُ حتى تظهرَ نتائجُ الامتحان، فكأنّما قلت: لا أسافرُ إلى أنْ تظهرَ نتائج الامتحان، أي: إلى غاية ظهور نتائج الامتحان.

وتدخل "حتى" على الأسماء والأفعال، ويرى الكوفيون بأنّ "حتى" التي تدخل على الفعل المضارع تنصبه بنفسها، في حين يرى البصريون بأن الفعل المضارع بعدها منصوب بـ "أن" مضمرة[2].

وإذا أخذنا برأي البصريين، فإن ما بعد "حتى" يكون في تقدير مصدر مؤول من "أن" المضمرة وصلتها (الجملة الفعلية المضارعية)، نحو: لا أسافرُ حتى تَظهرَ نتائجُ الامتحان = لا أسافرُ حتّى (أن) تظهر نتائج الامتحان = لا أسافرُ حتّى ظهورِ نتائج الامتحان؛ فظهور نتائج الامتحان نهاية غاية المكوث (عدم السفر)، وبداية غاية السفر.

ومعلوم أنّ "حتى" تُستعمل بوصفها رابطا حجاجيا يربط بين حجتين لهما نفس التوجيه الحجاجي، كما في قولنا: أكلتُ السّمكةَ، وأكلتُ رأسَها، فإن هاتين الجملتين حجتان تخدمان نتيجة: أكلتُ السَّمكةَ كلَّها[3].

ويبدو لنا أنّ (لا...حتى) يشبه العامل الحجاجي (لا...إلا)، ففي المثال السابق يمكن القول: لا أسافرُ إلّا أن تظهر نتائج الامتحان؛ ولذلك عددنا (لا...حتى) عاملا حجاجيا؛ فهي لا تربط بين قولين، أو بين حجة ونتيجة، ولا بين مجموعة حجج؛ لأن محلها هو القول الواحد[4].

وقد ورد العامل الحجاجي (لا...حتى) في الحديث الثالث عشر من الأربعين النووية: عن أبي حمزةَ أَنَسِ بْنِ مالكٍ–رضي الله عنه – عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[5].

---

[1]– السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، (د ط)، 1979، ج4، ص164.

[2]– ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج2، ص141.

[3]– أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص71.

[4]– ينظر: نفسه، ص27.

[5]– العثيمين، شرح الأربعين النووية، ص183.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: «الأولى أن يُحْمَلَ ذلك على عموم الأخوة، حتى يشمل الكافر والمسلم، فيحبّ لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام، كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مُستحَبّا، والحديث محمول على نفي الإيمان الكامل عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

1- 3- 1- الوظيفة الحجاجية للعامل "لا...حتّى" في الحديث: استعمل الحديث "لا" النافية، و"حتّى" الغائية التي تقابل في الفرنسية الأداة (Jusqu'à ce que) ولا تقابل (Jusqu'à) التي تدلّ على الزمان والمكان فقط[2].

وقد أدى هذا العامل الحجاجي مجموعة من الوظائف، ويمكن تلخيصها في الآتي:

أ- تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية: لقد أدّى العامل الحجاجي (لا...حتى) وظيفة تقوية الطاقة الحجاجية للملفوظ؛ حيث أزال أيَّ إبهام محتمل، وجعل الجملة لا تقبل إلا تأويلا دلاليّا واحدا، وذلك بسرعة "ربطه بين الحجة والنتيجة"، حيث حصَر غاية اكتمال الإيمان (النتيجة) في محبة الإنسان لأخيه ما يُحبّه لنفسه، سواء أكان ذلك في أمور الدين، أم أمور الدنيا.

ب- تقوية التوجيه نحو النتيجة: كما كان لهذا للعامل الحجاجي الدور الأكبر في تقوية التوجيه نحو النتيجة(اكتمال الإيمان)؛ فقد تتوفر في الإنسان أركان الإيمان السّتة، ويؤدي الفرائض، ويأتي السُّنن والنوافل، ولكنّ إيمانه لا يكون مكتملا إلى أن يبلغ غايةَ أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه. فالمسلم قد تكون له حسناتٌ كثيرة، ولكنه إن كان حسوداً لا يحب الخير لإخوانه كما يحبه لنفسه، فقد تذهب تلك الحسنات هباءً، فقد رُوي عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قوله: «الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ»[3].

ويمكننا تمثيل تقوية التوجيه نحو النتيجة في هذا الحديث في الخطاطة الآتية:

---

[1]- جمع من العلماء، شرح الاربعين النووية، ص296.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص76.

[3]- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج2، ص1408. رقم الحديث: 4210.

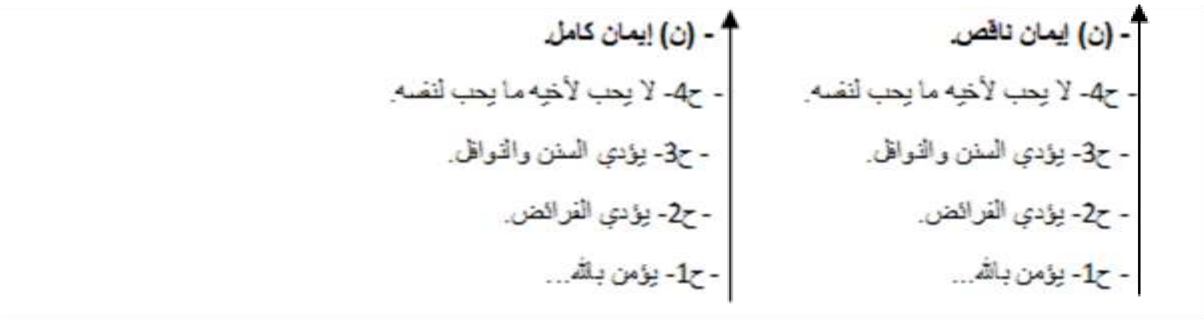

1- 4- العامل الحجاجي (القصر بـ "إنما"): **"إنّما"** عند النحاة مركّبة من "إنّ" الناصبة، و"ما" الكافة التي تُبطِلُ عملها.

وهي عند علماء المعاني تُفيد القصر الذي هو «تخصيص شيء بشيءٍ وحصره فيه، ويُسمّى الأمر الأول مقصورا والثاني مقصورا عليه»[1].

وقد بيّن السكاكي وظيفة "إنما" البلاغية في كتابه مفتاح العلوم، قائلا: «وترى أئمة النحو يقولون: "إنما" تأتي إثباتا لما يُذكر بعدها، ونفيا لما سواه، ويذكرون لذلك وجها لطيفا يُسند إلى علي بن عيسى الربعي وأنه كان من أكابر أئمة النحو ببغداد، وهو: أن كلمة "إن"، لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها "ما" المؤكِّدة، لا النافية، على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو، ضاعف تأكيدها، فناسب أن يضمن معنى القصر؛ لأن قصر الصفة على الموصوف، وبالعكس، ليس إلا تأكيدا للحكم على تأكيد. ألا تراهم، متى قلت لمخاطب يردد المجيء الواقع بين زيد وعمرو، زيد جاء لا عمرو، وكيف يكون قولك: زيد جاء، إثباتا للمجيء لزيد صريحا، وقولك: لا عمرو إثباتا ثانيا للمجيء لزيد ضمنا؛ ومما ينبه على أنه متضمن معنى "ما وإلا" صحة انفصال الضمير معه، كقولك: إنما يضرب، أنا مثله في: ما يضرب إلا أنا قول الفرزدق:

أَنا الذّائِذُ الحامي الذِّمارَ، وإنّما***يُدافع عن أحْسابِهم أنا أو مِثْلي»[2].

ومما سبق يبدو لنا أن "إنّما":

-تأتي إثباتا لما يُذكر بعدها، ونفيا لما سواه.

- تفيد تأكيدا مضاعَفا؛ لأنها مركبة من "إنّ" التي تُفيد التوكيد، و"ما" المؤكِّدة.

---

[1]- الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003، ص176.

[2]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص291.

ودلالة "إنّما" على القصر دلالة وضعية، وعلى الرغم من ذلك لم يفت البلاغيين أن يتحدثوا عن وجه دلالتها على القصر، فقد ذكروا أنها تدل على القصر؛ لتضمنها معنى "ما وإلا"، واستدلوا على ذلك بوجوه منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ﴾ [البقرة: 173] بالنصب؛ حيث ذكر المفسرون الذين يُحتج بهم في اللغة كابن عباس، ومجاهد ونحوهما من الصحابة والتابعين أن المعنى: ما حَرَّمَ عليكم إلا الميتة، وهو المطابق لقراءة الرفع؛ حيث يُفاد القصر في هذه القراءة –قراءة الرفع– بتعريف الطرفين؛ فالآية فيها ثلاث قراءات، وكلها تفيد القصر[1].

ومن الأحاديث التي وُظف العامل الحجاجي "إنما" في "الأربعين النووية" الحديث الأول:

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيّاتِ، وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورَسولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسولِهِ، وَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيا يُصيبُها، أَوِ امْرَأَةٌ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُهُ إِلى ما هاجَرَ إِلَيْه»[2].

وقد رُوي في مناسبة الحديث أن رجلا هاجر من مكة إلى المدينة؛ ليتزوج امرأة يقال لها أمّ قيس، لا يريد بذلك فضيلة الهجرة. فكان يقال له: مهاجر أُمّ قيس. والله أعلم[3].

ويُعدّ هذا الحديث أحدَ حديثين عليهما مدار الإسلام؛ ولهذا قال العلماء: مدار الإسلام على حديثين: هما هذا الحديث، وحديث عائشة: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا، فَهُوَ رَدٌّ». فهذا الحديث عمدة أعمال القلوب، فهو ميزان الأعمال الباطنة، وحديث عائشة عمدة أعمال الجوارح[4].

1– 4– 1– <u>الوظيفة الحجاجية للعامل "إنّما" في الحديث</u>: قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيّاتِ»، موظّفا الأداة "إنما" التي تُثْبِتُ المذكور، وتنفي ما عداه، ويكون في هذا الأسلوب المقصور عليه مؤخرا وجوبا؛ فقد حصر المبتدأ "الأعمال" في الخبر "النيّات"، أي: لا صحّة للأعمال

---

[1]– مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة 2–المعاني، جامعة المدينة العالمية، كوالمبور، ماليزيا، (د ط)، (د ت)، ص434.

[2]– العثيمين، شرح الأربعين النووية، ص9.

[3]– جمع من العلماء، شرح الأربعين النووية، ص20–21.

[4]– العثيمين، شرح الأربعين النووية، ص18.

إلا بصحّة النيّات. و"إنّما" هنا تقتضي الحصر المطلق؛ فقبول الأعمال في أيّ حال كانت لا يكون إلا بصحّة النيّات.

وتتجلى لنا الوظيفة الحجاجية للعامل "إنّما" إذا ما حذفناه من الجملة، فإن الجملة الاسمية "الأعمالُ بالنيّات" صحيحة نحويا، إلا أنها لا تفيد حصر صحّة العمل في صحة النّية، فقد تكون صحة العمل بصحة النية، وبفسادها.

كما يمكن أيضا القول: "إنّ الأعمالَ بالنيّات"، فعلى الرغم من استعمال أداة التوكيد، إلا أنها لم تفد ما أفادته "إنّما" من حصر صحة العمل وقبوله في صحة النيّة.

ومما سبق تتبين لنا وظيفة العامل الحجاجي "إنّما" في كونه:

أ- أثبت ما ذُكر بعده (النيّات)، ونفى ما سواه؛ فلا تُقبلُ الأعمال حتى ولو كانت حسنة إلا بصحّة النيّات.

ب- وَجَّهَ الخطاب نحو النّتيجة: قَبولُ العمل لا يكون بصلاحه فقط، ما لم تُصاحبه نيّة صحيحة.

ج- تقوية الحدث التوجيهي للخطاب نحو النتيجة؛ ذلك أن "إنّما" تفيد توكيدا مضاعفا –كما سبق ذكره- لأنها مركّبة من أداة التوكيد "إنّ"، و"ما" المؤكِّدة، بخلاف لو أن الخطاب خلا منها "الأعمال بالنيّات"، أو باستعمال "إنّ" فقط.

د- تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية، وذلك بالقضاء على تعدد التأويلات بسرعة الربط بين الحجة والنتيجة[1]؛ فتوظيف "إنّما" في الحديث، يقضي على تعدّد التأويلات، فلا يمكن أن يتصور أحدٌ أن عمله سيُقبلُ ويُؤجر عليه، حتى ولو كان حسنا، إذا ما كانت نيّته فاسدة، عارية من الإخلاص، وإرادة وجه الله بذلك العمل.

1- 4- 2- تكرار العامل الحجاجي "إنّما": نلاحظ أن "إنّما" قد تكررت في الحديث: «وإِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيّاتِ، وَإِنّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى...»، ومن حيث اللغة يجوز: "إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى...".إلا أن الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- كرّر "إنّما" في الجملة الاسمية المعطوفة.

[1]- ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص54.

وزيادة على التوكيد الذي أفاده تكرار "إنّما"، فإنها:

أ- حصرت ما يناله المرءُ من عمله في صحّة نيّته، فإن نوى خيراً، فإنه سيُجازى خيراً، وإن نوى غيرَ ذلك، فإنّه سيُجازى بحسب نيّته.

ب- تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية: وذلك بقصر الجزاء على النيّة، فلا يتصور أحدٌ أنه سيُجازى خيرا على عمله الحسن، في حين أن نيّته فاسدة.

ج- توجيه الخطاب نحو النتيجة: فبتكرار "إنما" تقرر أن الإنسانَ لن ينال من عمله أجرا وثوابا إلا بحسب نيّته، فإن كان العمل حسنا، والنيّة فاسدة، فإنه لن ينال أجرا، بل قد يتحمّل وِزراً؛ لأنه لم يرد رضا الله في عمله.

كما ورد العامل الحجاجي القصر بـ "إنّما" في الحديث التاسع: عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوه، وَما أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّما أَهْلَكَ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسائِلِهِمْ واخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيائِهِمْ»[1].

وقد ورد في مناسبة هذا الحديث: عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيّها النّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ فُحجّوا»، فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم؛ فإنما أهلك من كان قبلكم ...»[2].

قال عبد المحسن العباد البدر في شرح الحديث: «المنهيُّ عنه في الحديث ما كان من المسائل في زمنه يترتَّب عليه تحريم شيء على الناس بسبب مسألته، وما يترتَّب عليه إيجاب شيء فيه مشقَّة كبيرة وقد لا يُستطاع، كالحجِ كلَّ عام، والمنهيُّ عنه بعد زمنه ما كان فيه تكلُّف وتنطُّع واشتغال به عمَّا هو أهم منه»[3].

---

1 - العثيمين، شرح الأربعين النووية، ص155.

2 - جمع من العلماء، شرح الأربعين النووية، ص246.

3 - عبد المحسن العباد البدر، فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين، ص51.

1- 4- 3- الوظيفة الحجاجيّة للعامل "إنّما" في الحديث: الملاحظ في الحديث أن الرسول -صلى الله عليه وسلّم- قد استعمل أداة القصر "إنّما" بعد أن أخبر الصحابة بأنّ الله قد فرض عليهم الحجّ، وأمرهم بأن يحجّوا، إلا أنّ رجلا لم يكتفِ بما أُمرَ به، وراح يسأل إن كان الحجّ قد فُرضَ في كلّ عام؟! ويبدو أن النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- قد انزعج من ذلك السؤال، فأراد أن يبيّن لأصحابه أن ينتهوا عمّا نُهوا عنه، وأن يأتوا ما أُمروا به قدر الاستطاعة، إلا أنه لم يقف عند هذا الحدّ، بل زاد أن بيّن لهم عاقبة كثرة السؤال، فقال: «...فَإِنَّما أَهْلَكَ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسائِلِهِمْ واخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيائِهِمْ».

وقد نهى الله عزّ وجلّ عن السؤال عمّا لم يُبلّغه الرسول —صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: 101]. قال أبو حيان في تفسير هذه الآية: «كأنه قيل: ما بلّغه الرسول، فخذوه وكونوا منقادين له، وما لم يُبلّغه، فلا تسألوا عنه، ولا تخوضوا فيه، فربّما جاءكم بسبب الخوض الفاسد تكاليف تشقّ عليكم»[1].

وتتجلّى لنا القيمة الحجاجيّة للعامل "إنما" في:

أ- حصر هلاك الأقوام السابقين في كثرة السؤال واختلافهم على أنبيائهم، أي: إن شيئا لم يُهلكهم إلا كثرة الأسئلة التي كانوا يطرحونها على أنبيائهم، وكثرة مُعارضتهم لأنبيائهم. وقصّة بني إسرائيل في ذبح البقرة معروفة، فقد أمرهم الله أن يذبحوا بقرة، دون أن يحدّد صفاتها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ [البقرة:67]، وقد كان بإمكانهم أن يذبحوا أيّ بقرة، ولكنهم تلكّأوا، وأكثروا من الأسئلة عن صفات البقرة... ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 71].

ب- توجيه الحجاج نحو النتيجة، ألا وهي: النهي عن كثرة السؤال في أمور الشّريعة؛ فالرسول —صلى الله عليه وسلم- لم يقل: لا تكثروا من السؤال فيما أُمرتم به، وإنّما اتّجه إلى النتيجة، وهي "الهلاك"، وكان للعامل الحجاجي "إنّما" الدور الأبرز في ذلك.

---

[1]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج4، ص53.

ج- تقوية الطاقة الحجاجية للملفوظ: لقد كان بإمكان الرسول –صلّى الله عليه وسلّم – الاكتفاء بالجزء الأول من الحديث: «ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوه، وَما أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ»؛ لأنه يتضمّن الأمر بالكفّ عن النّواهي، وإتيان الأوامر؛ إلّا أنه لمّا جاء بالشطر الثاني من الحديث: «فَإِنَّما أَهْلَكَ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسائِلِهِمْ واخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيائِهِمْ» قوّى طاقته الحجاجية؛ باستعمال "إنّما" التي حصرت هلاك الأمم في كثرة السؤال عن الأوامر والنواهي الشّرعية.

وقد كان بالإمكان –لغة- أن يستعمل الحرف "قد" الذي يفيد التحقيق؛ للتأكيد على النهي عن كثرة السؤال: "...فقد أَهْلَكَ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسائِلِهِمْ..."، إلا أن "قد"، وإن كانت تفيد التحقيق والتوكيد، إلا أنها لا تحصر هلاك الأمم في كثرة السؤال.

2- العامل الحجاجي التوكيد: يُعَدُّ التوكيد من العناصر اللغوية التي يوظفهاالمخاطِبُ في رسالته اللغوية لإقناع المخاطَب برأيه أو بوجهة نظر، والتأثير فيه، وحمله على الإذعان والتسليم بذلك الرأي.

وتؤَكَّد الجملةُ الخبريّةُ سواء أكانت اسميّةً أم فعليةً؛ لتمكين الكلامِ من نفسِ المتلقي وإزالةِ التجوّزِ في الكلام، وما قد يتبادرُ إلى ذهن المتلقي من شكٍّ أو إنكارٍ لمضمونها[1].

والأصلُ في الخبر أن يُلقى إلى السّامعِ إن كان خاليَ الذّهنِ منه مجرّدا من أدواتِ التوكيد، ويُسمّى هذا الضربُ "ابتدائيا"، فإن كان شاكّا مترددا في قَبولِ مضمونِه أُكِّد بأداةٍ واحدة، ويُسمّى حينها "طلبيا"، أمّا إذا كان مُنكِرا له أُكِّد بأكثرَ من أداةٍ ، ويُسمّى هذا الضربُ "إنكاريا"[2].

وسنقوم بدراسة بعض أدوات التوكيد في الأربعين النووية، باعتبارها عوامل حجاجية.

2- 1- التوكيد بالأداة "إنّ": من الأحاديث التي وظف فيها العامل الحجاجي "إنّ" في الأربعين النووية الحديث العشرون: عن أبي مَسعودٍ عُقبةَ بْنِ عَمرٍو الأنصاريّ البدريّ-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إنّ** مِمّا أَدْرَكَ النّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولى، إذا لَمْ تَسْتَحِ، فَاصْنَعْ ما شِئْت»[3].

---

[1]- ينظر: ابن الأنباري، أسرار العربية، تح: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995، ص253.

[2]- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص170- 171.

[3]- العثيمين، شرح الأربعين النووية، ص230.

قال ابن بطال (ت: 449 هـ) في شرح هذا الحديث: قال الخطابي: قوله: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة" يريد أن الحياء لم يزل مستحسنًا في شرائع الأنبياء الأولين، وأنه لم ينسخ في جملة ما نُسِخَ من شرائعهم. قال المؤلف: قوله: "فاصنع ما شئت" فيه وجهان: أحدهما: أن يكون خرج بلفظ الأمر على معنى الوعيد والتهدد لمن ترك الحياء كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ ولم يطلقهم تعالى على الكفر وفعل المعاصي، بل توعدهم بهذا اللفظ؛ لأنه تعالى قد بين لهم ما يأتون وما يتركون...والوجه الثاني: أن يكون معناه: اصنع ما شئت من أمر لا تستحي منه تفعله، والتأويل الأول أولى، وهو الشائع في لسان العرب، ولم يقل أحد في تأويل الآية المذكورة غيره»[1].

2- 1- 1- **الوظيفة الحجاجية للعامل "إنّ"**: الملاحظ أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد افتتح الحديث بأداة التوكيد "إنّ"، وكان بإمكانه أن يأتي بالحديث دونها: "ممّا أدركَ الناسُ من كلام النبوّة الأولى..."، فالجملة صحيحة نحويا، وهي خبرية مثبتة. فما الذي أضافه العنصر اللغوي لمعنى "إن"؟

أ- تقوية التوجيه نحو النتيجة: إن النتيجة المتوخاة من هذا الحديث هي "**الحثُّ على التمسّك بخلق الحياء**"، وخلق الحياء يُعدّ شعبة من شعب الإيمان؛ فقد روي عنه –صلى الله عليه وسلم– قوله: «الحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[2].

والبلاغيون يعدون هذا الخبر الذي يؤكّد بأداة واحدة خبرا طلبيّا، قال السّكّاكي: «وإذا ألقاها إلى طالبٍ لها، [أي الجملة] مُتَحِيّر طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بين بين؛ ليُنقذَه عن ورطة الحيرة، استحسن تقويةُ المنقذ بإدخال اللام في الجملة أو إنَّ كنحو: لَزَيْدٌ عارِفٌ، أو إنَّ زَيْدًا عارف. وسمي هذا النوع من الخبر: طلبياً»[3].

---

[1]- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، البخاري تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط2، 1423هـ/ 2003م، ج9، ص299.

[2] - مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997، ج15، ص 443، رقم الحديث: 9710.

[3]- السكاكي، مفتاح العلوم، 170.

ويبدو أن المقام هو الذي استدعى تأكيد الخبر بـ "إنّ"؛ للدّلالة على أنه أصلٌ ثابتٌ دعا إليه الأنبياء كلّهم.

ب- تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية: كما كان للعامل الحجاجي "إنّ" الدور الأبرز في تقوية الطاقة الحجاجية للجملة، وذلك بتقليص ما قد يشوبها من غموض أو تعدد في التأويلات.

فالتأكيد على أن الحياء من كلام النبوّة الأولى يحصر النتيجة في وجوب الاتصاف بهذا الخلق، فهو ليس مجرّد عادة، أو خلق توارثه العرب الذين قال شاعرهم عنترة العبسي [من الكامل]:

وَأَغُضُّ طَرْفِي ما بَدَتْ لِيَ جارَتِي***حَتَّى يُواري جارَتِي مَأْواها[1]

وإنّما هو من صميم الدين، لم يبتدعه الإسلام، بل دعا إليه كلُّ الأنبياء.

2- 2- التوكيد بأكثر من أداة (ألا + إن): من الأحاديث التي أُكّدت فيها الجملة بأكثر من أداة الحديث السادس من الأربعين النووية: عن أبي عبدِ اللهِ النّعمانِ بْنِ بَشيرٍ-رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله وسلم- يقول: «إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُما أُمورٌ مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ، فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وَقَعَ في الحَرامِ، كَالرّاعي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فيه، **أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمى اللهِ مَحارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً** إِذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، **أَلا وَهِيَ القَلْب**»[2].

يبيّن الرسول —صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث بأن الحلال بيّنٌ واضح جليٌّ، وكذلك الحرام، وبينهما أمورٌ مُشْتبهة يختلف فيها النّاس، فمنهم من يحلّها، ومنهم من يُحرّمها، ثمّ دعا إلى اجتناب تلك الأمور المشتبهات؛ استبراءً للدين والعرض. وشبه الأمر بالراعي الذي يرعى حول مرعى حماه الملك، فهو يوشك أن يقع فيه.

وقال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: اختلف العلماء في الحلال والحرام: فقال أبو حنيفة-رحمه الله تعالى-:الحلال ما دل الدليل على حِلّه. وقال الشافعي رضي الله عنه: الحرام ما دل الدليل على تحريمه. أما عن قوله-صلى الله عليه وسلم-: «وبينهما أمور مشتبهات»،

---

[1]- الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، تح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992، ص208.

[2]- العثيمين، شرح الأربعين النووية، ص124.

فقال: أي: بين الحلال والحرام أمور مشتبهة بالحلال والحرام، فحيث انتفت الشبهة انتفت الكراهة وكان السؤال عنه بدعة، وذلك إذا قدم غريب بمتاع يبيعه، فلا يجب البحث عن ذلك، بل ولا يستحب، ويكره السؤال عنه[1].

2- 2- 1- الوظيفة الحجاجية للعامل "ألَا إنَّ": استعمل النبي -صلى الله عليه وسلم- في التحذير من الوقوع في الشبهات **مؤَكّدين اثنين: "أَلا": أداة الاستفتاح والتنبيه، وتفيد التوكيد، و"إنّ" المؤَكِّدة.** وهذا الضرب من الخبر الذي يؤَكَّد بأكثر من أداة توكيد يدعوه البلاغيون "الخبر الإنكاري". قال السكّاكي: «وإذا ألقاها [أي الجملة] على حاكم فيها بخلافه؛ لِيَرُدَّهُ إلى حُكْمِ نفسه، استوجب حكمه ليتَرجَّحَ تأكيداً بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، كنحو: صادقٌ إني، لمن يُنكر صدقك إنكاراً، وإني لصادق، لمن يبالغ في إنكار صدقك، ووالله إني لصادق»[2].

فتوظيف أدوات التوكيد في الخبر الإنكاري يكون إذن بحسب قوّة إنكار المخاطب للخبر.

ومن الوظائف الحجاجية التي أداها هذا العامل (ألا إنّ) في هذا الحديث:

أ- **تحقيق مبدأ الإفادة:** تُعدّ أدوات التوكيد من الأدوات اللغوية للسلم الحجاجي التي تُضيف إلى المعنى الأول (القول الخالي من أدوات التوكيد "الخبر الابتدائي") معانٍ لم يفدها الإسناد الخبري له؛ وهذا لأن كلّ توكيد يزاد فيدخل على الإسناد الخبري الابتدائي، تحصل بفضله بلاغيا ودلاليا زيادة في المعنى الأصلي لذلك الإسناد[3].

لقد قام العامل الحجاجي "ألا إنّ" في هذا الحديث بدور فعال في تحقيق مبدإ الإفادة، فلو لم يوظف في الحديث، لكان الخبر ابتدائيا: "...لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، وَحِمى اللهِ مَحارِمُهُ، وَفِي الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَهِيَ القَلْب". غير أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يريد الإخبار ابتداءً بإفادة المخاطبين بخبر يجهلونه، وإنما أراد أن يحثّهم على اجتناب الشبهات؛ استبراءً للدين والعرض، حتى لا يقعوا في الحرام، وكذلك حثّهم على إصلاح قلوبهم؛ لأنها

---

[1]- جمع من العلماء، شرح الأربعين النووية، ص185.

[2]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص171.

[3]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2008، ص290.

إن فسدت، فسد الجسد كلّه؛ فاستعمل لتحيق تلك الفائدة مؤكّدين، منزلا المخاطبين منزلة المنكر للخبر، «وقد يُنزّلُ خاليَ الذّهن منزلةَ الشاكِّ المتردِّدِ؛ فيؤَكَّدُ له الكلامُ حسب ما يقتضيه الموقفُ التعبيري»[1].

ب- تقوية توجيه الحجاج نحو النتيجة: من أهم وظائف العوامل الحجاجية أنها توجّه الحجاج وجهة معينة. والنتيجة المتوخاة من هذا الحديث هي "**الدعوة إلى اجتناب الأمور المشتبهات**"؛ لأن من وقع فيها وقع في الحرام، فشبّه تلك الأمور بالمرعى الذي حماه الملك، فمن رعى حوله، غير ضامن أن يقع فيه؛ فاستعمال مؤكّدين يقوي التوجيه نحو تلك النتيجة؛ فهو لم يكتف باستعمال أداة التوكيد "إنّ"، بل سبقها بـ "ألا" التي هي حرف استفتاح وتنبيه تُفيد التوكيد أيضا[2]. قال عبد القاهر الجرجاني، مبيّنا أهمية توظيف حرف التنبيه: «ليس إعلامُكَ الشّيءَ بَغْتَةً غُفْلا، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتّقْدِمَة له، لأنّ ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام»[3].

ج- تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية: إن استعمال مؤكّدين في الحديث أدى إلى تقوية الطاقة الحجاجية للملفوظ، فباستعمال حرف التنبيه والاستفتاح "ألا"، وأداة التوكيد "إنّ" تنحصر نتيجة الملفوظ، وتصبح غير قابلة لأيّ تأويل؛ إذ يجب الابتعاد عن الشّبهات؛ لأن من وقع فيها، وقع في الحرام. كما يجب الاهتمام بإصلاح القلب؛ لأنه إذا صلح، صلح سائر الجسد، والعكس.

3- العامل الحجاجي النفي بـ "لا": يُعرّف النفي بأنه: «ما لا ينجزم بلا، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل، وقيل: النفي عبارة عن عدم صدور الفعل عن الفاعل في الزمان الآتي وهو ضدّ المضارع»[4].

[1]- محمد خان، لغة القرآن الكريم "دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2004، ص147.

[2]- الرماني، معاني الحروف، ص158.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص132.

[4] - الشريف الجرجاني، التعريفات، ص240.

والنفي نقيض الإثبات، قال ابن يعيش (ت:643هـ): «اعلم أنّ النفي إنّما يكون على حسب الإيجاب لأنّه إكذاب له فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلاّ أنّ أحدهما نفي والآخر إيجاب»[1].

ويعد النحاة "لا" النافية «أقدم حروف النفي في العربية تدخل على الأسماء والأفعال»[2]. وهي النافية تكون عاملة وغير عاملة:

1- تعمل عمل "إنّ"، وتسمى النافية للجنس. وتكون جوابا لـ: هل من؟ نحو: لا أحدَ أفضلُ منك[3]. «وهي تفيد التنصيص على نفي الجنس، وهي آكَدُ من العاملة عمل ليس أو المهملة»[4].

2- تعمل عمل ليس، نحو: لا رجُلٌ عندك[5].

3- غير العاملة: تدخل على الاسم، نحو: لا رجلٌ حاضرٌ. وتدخل على الفعل المضارع، فلا تقيده بزمن. وتدخل على الفعل الماضي، فيجب تكرارها، نحو: ﴿فَلَا صَدّقَ ولَا صَلَّى﴾ [القيامة: 31]، إلا أن يكون دعاءً، نحو: لا فضّ الله فاك[6].

وسنكتفي بدراسة "لا" النافية للجنس، ونموذج من "لا" المهملة الداخلة على الفعل المضارع.

3- 1- العامل الحجاجي "لا النافية للجنس": وردت في الحديث الثاني والثلاثين من الأربعين النووية: عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري –رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: «**لَا** ضَرَرَ وَ**لَا** ضِرار»[7].

وقد اختلف شراح الحديث في معنى "الضَّرر" و"الضِّرار"، قال ابن عبد البَرّ (ت:463 هـ) في شرح هذا الحديث: «قَالَ أَبُو عُمَرَ قَوْلُهُ (لَا ضَرَرَ وَلَا ضرار) قيل فيه أقوال، أحدها: أنهما لفظتان بمعنى واحد، فتكلم بهما جَمِيعًا عَلَى مَعْنَى التَّأْكِيدِ. وَقِيلَ: بَلْ هُمَا بِمَعْنَى القَتْلِ وَالقِتَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا

[1] – ابن يعيش، شرح المفصل، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج5، ص31.

[2]– فاضل السامرائي، معاني النحو، ج4، ص204.

[3] – الرماني، معاني الحروف، ص55.

[4] – فاضل السامرائي، معاني النحو، ج4، ص204.

[5] – الرماني، معاني الحروف، ص57.

[6] – ينظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، ج4، ص204 وما بعدها.

[7] – العثيمين، شرح الأربعين النووية، ص353.

يَضُرُّ أَحَدٌ أَحَدًا ابْتِدَاءً، وَلَا يَضُرُّهُ إِنْ ضَرَّهُ وَلْيَصْبِرْ. وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ، وَإِنِ انْتَصَرَ، فَلَا يَعْتَدِي. وَنَحْوُ هَذَا كَمَا قَالَ: (وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)، يُرِيدُ بِأَكْثَرَ مِنَ انْتِصَارِكَ مِنْهُ بِالسَّوَارِ أَوْ ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43].

وقال بن حَبِيبٍ: الضَّرَرُ عِنْدَ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ الاسْمُ، وَالضِّرَارُ الفِعْلُ. قَالَ وَالمَعْنَى: لَا يُدْخِلُ عَلَى أَحَدٍ ضِرَرًا لَمْ يُدْخِلْهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَمَعْنَى لَا ضِرَارَ: لَا يُضَارُّ أَحَدٌ بِأَحَدٍ. هَذَا مَا حكى بن حَبِيبٍ.

وَقَالَ الخُشَنِيُّ الضَّرَرُ الذِي لَكَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ وَعَلَى جَارِكَ فِيهِ مَضَرَّةٌ، وَالضِّرَارُ مَا لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ وَعَلَى جَارِكَ فِيهِ مَضَرَّةٌ. وَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ فِي الحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[1].

قال ابن الأثير (ت: 606هـ) في النهاية: «والضِّرَار: فِعال، مِنَ الضَّرّ: أَيْ لَا يُجَازِيهِ عَلَى إِضْرَاره بِإِدْخَالِ الضَّرَر عَلَيْهِ. والضَّرَر: فِعْلُ الوَاحِدِ والضِّرَار: فِعْلُ الاثْنَيْنِ، والضَّرَر: ابْتِدَاءُ الفِعْلِ، والضِّرَار: الجَزَاءُ عَلَيْهِ. وَقِيلَ الضَّرَر: مَا تَضُرُّ بِهِ صَاحِبَكَ وَتَنْتَفِعُ بِهِ أَنْتَ، والضِّرَار: أَنْ تَضُرَّه مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْتَفِعَ بِهِ. وَقِيلَ هُمَا بِمَعْنًى، وتَكرَارُهُما لِلتَّأْكِيدِ»[2].

ومما سبق يمكن القول بأن هذا الحديث عام، فالنبيّ –صلى الله عليه وسلم– يوجه الإنسان إلى عدم الإضرار بغيره. فإذا ما قدم الإنسان على عمل له فيه منفعة، فلينظر إن كان في ذلك العمل مضرة لغيره، أو لا. فإن ثبت لديه أنه سيلحق بعمله ضررا بالآخرين، وجب عليه الامتناع عن القيام به.

وقد استعمل الرسول –صلى الله عليه وسلّم– في هذا الحديث **"لا" النافية للجنس، بوصفها عاملا حجاجيا**. وضرر: اسمها مبني على الفتح، وخبرها محذوف تقديره: بين الناس (بحسب ما يقتضيه السياق). وجملة "لا ضِرارَ": معطوفة عليها.

3– 1– 1– الوظيفة الحجاجية لـ "لا النافية للجنس" في الحديث: ونلخصها فيما يأتي:

---

[1]– ابن عبد البر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، تح: سالم محمد ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421/ 2000، ص191.

[2]– ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطباحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د ط)، 1399هـ/ 1979م، ج3، ص81–82.

أ- **تحديد التوجيه الحجاجي للجملة**: إن عاملية النفي الحجاجية لا يمكن إدراكها إلا بإدراك النتيجة التي يريد المتكلم توجيه المخاطب إليها؛ ولذلك كان "ديكرو" يركن دائما إلى المفهوم في معرض حديثه عن النفي[1].

وقد جاء الحديث بصيغة النفي: «**لَا** ضَرَرَ وَ**لَا** ضِرار». والنفي أسلوب خبري، إلا أنه هنا يتضمن معنى النهي، فهو بمعنى: "لا تَضُرّوا بَعْضَكُمْ بَعْضًا"، وهذا القول المضمر هو النتيجة التي أراد الرسول -صلى الله عليه وسلّم- التوجيه إليها.

ب- **سرعة التوجيه نحو النتيجة**: لقد عمل النفي في الحديث على سرعة التوجيه نحو النتيجة: تحريم أن يلحق الإنسان الضرر بغيره؛ نتيجة قيامه بعمل ما، حتى ولو كان له في ذلك العمل مصلحة. فبمجرد إدراج النفي تحددت النتيجة بسرعة.

3- 2- العامل الحجاجي "لا النافية الداخلة على الفعل المضارع": تدخل "لا النافية" على الفعل المضارع فلا تقيّده بزمن -على الأرجح- وإن كان النحاة يرون بأنها تخلصه للاستقبال[2]. قال سيبويه: «وإذا قال: هو يفعل، ولم يكن الفعل واقعا فنفيه: لا يَفْعَلُ»[3].

ومن الأحاديث التي وظّف فيها العامل الحجاجي (النفي بلا الداخلة على الفعل المضارع) في الأربعين النووية الحديث الخامس والثلاثون: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَحاسَدُوا، ولَا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَروا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلى بَيْعِ بَعْضٍ، وكونوا عَبادَ اللهِ إِخْوانًا، المُسْلِمُ أَخو المُسْلِمِ، **لَا يَظْلِمُهُ، ولَا يَخْذُلُهُ، ولَا يكْذِبُهُ، ولا يَحْقِرُهُ**، التَّقْوى هَا هُنا-وَيُشيرُ إِلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرّاتٍ-بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرامٌ دَمُهُ ومالُهُ وَعِرْضُه»[4].

---

[1] - عايد جدوع حنون، وثائر عمران شهدان، العوامل الحجاجية في آيات الأحكام، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، السماوة، العراق، مج7، ع4، 2026، ص12-13.

[2] - فاضل السامرائي، معاني النحو، ج4، ص206.

[3] - سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج3، ص117.

[4]- العثيمين، شرح الأربعين النووية، ص368.

قال ابن بطال (ت: 449 هـ) في شرح الحديث: «قوله عليه السلام: "المسلم أخو المسلم" من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقوله: "لا يَظلمُه، ولا يُسلِمُه"، فإن الله حرم قليل الظلم وكثيره. وقوله: "لا يسلمه" مثل قوله عليه السلام: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما". وباقي الحديث حَضّ على التعاون، وحُسْن التعاشر، والألفة، والسّتر على المؤمن، وترك التسمّع به، والإشهار لذنوبه...»[1].

3- 2- 1- الوظيفة الحجاجية للعامل الحجاجي (نفي المضارع بـ "لا"): لقد أدى هذا العامل عدة وظائف حجاجية، ومنها:

أ- الإعانة على فهم المعنى: أعان العامل الحجاجي (نفي المضارع بلا) في هذا الحديث على فهم المعنى الظاهر والخفي للجملة. فالمعنى الظاهر هو نفي صفات الظلم والخذلان والكذب والاحتقار عن المسلم في تجاه أخيه المسلم. أما المعنى الخفي، فهو النهي عن اتّصاف المسلم بتلك الصفات مطلقا: حاضرا، وماضيا، ومستقبلا. فإن اتّصف بها؛ فهو ليس بمسلم حقيقي؛ فقد ورد في حديث آخر: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»[2].

ب- توجيه الحجاج نحو النتيجة: إن توظيف عامل النفي بـ "لا" في هذا الحديث أدّى إلى توجيه الحجاج نحو نتيجة معينة، وهي: أنّه لا يجوز للمسلم أن يَظْلِمَ أخاه المسلم، ولَا أن يَخْذُلَه، ولَا أنْ يكْذِبَهُ، ولا أن يَحْقِرَهُ. **فإن لحق أخاه منه شيءٌ من ذلك، فهو ليس بمسلم حقيقة، ويمكننا تمثيل ذلك في هذا السلّم الحجاجي:**

[1] – ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج6، ص572.

[2]– مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997ج11، ص66، رقم الحديث: 6515.

(ن) مسلم حقيقي	(ن) ليس مسلما حقيقيا
- ق5- ولا يحقره	- ق5- أو يحقره
- ق4- ولا يكذبه	- ق4- أو يكذبه
- ق3- ولا يخذله	- ق3- أو يخذله
- ق2- لا يظلمه	- ق2- يظلمه
- ق1- المسلم أخو المسلم	- ق1- المسلم أخو المسلم

ج- **تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية**: على الرغم من أن الأخوة تترتّب عليها حقوق وواجبات، إلا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يكتف بالقول: "المسلم أخو المسلم"، وإنّما زاد وذلك بأن وضح مجموعة من الأمور التي يجب أن يتّصف بها المسلم تجاه أخيه المسلم؛ ليكون مسلما حقيقيا؛ فعليه ألّا يَظْلِمَه، ولَا يَخْذُلَه، ولَا يكْذِبَهُ، ولا يَحْقِرَهُ.

وقد استعمل في ذلك النفي الذي أدى إلى حصر النتيجة (حقيقة المسلم)، والقضاء على تعدد التأويلات؛ فقد يتصور المسلم أنه مرضي عند الله بإيمانه وقيامه بالفرائض والنوافل، دون الاهتمام بحسن علاقته مع إخوانه. فقد تذهب كلّ أعماله هباءً إذا كان يسيءُ لإخوانه، كما جاء في حديث آخر: «إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيُقْعَدُ، فَيَقُصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1].

[1] – مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997ج13، ص399، رقم الحديث: 8029.

خاتمـــــــــة

لقد كان الهدف من هذا البحث واضحا ومحدّدا، وهو السعي إلى تجلية وجه من وجوه البلاغة النبويّة، متمثلا في الوقوف على أبرز العوامل الحجاجية ووظائفها في الأربعين النووية.

وفي أثناء مسيرة البحث استطعنا الوصول إلى مجموعة من النتائج، ونلخصها في الآتي:

1– العوامل الحجاجية باعتبارها عناصر لغوية يوظّفها المخاطب في خطابه؛ لأجل التأثير في المـُخاطَب وإقناعه، وحمله على الإذعان والتسليم بما يعرضه عليه، تختلف عن الروابط الحجاجية؛ ذلك أن هذه الأخيرة تختص بالربط بين القضيتين البسيطتين؛ لتصبح قضية كبرى، في حين أن العوامل الحجاجية تختص بالقضية الصغرى، أي: إنها لا تربط بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول معيّن.

2– وظّف الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– في الأحاديث الأربعين النووية طائفة من العوامل الحجاجية التي كان لها دورٌ أساس في بلاغة الخطاب النبوي الشريف.

3– وتتلخص أهم العوامل الحجاجية الواردة في الأربعين النووية في:

أ– العامل الحجاجي "القصر": حيث استعمل في طائفة من الأحاديث، بمختلف طرقه. ومن طرقه التي وقفنا عليها في البحث:

– **النفي والاستثناء**: حيث استعمل النفي والاستثناء بـ (لا ...إلا)، و(ما...إلا)، و(لا...حتّى)، و(القصر بـ "إنما")، وقد كرر هذا العامل الأخير في الحديث الأول: «إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيّاتِ، وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى...».

ب– العامل الحجاجي "التوكيد": وظف هذا العامل في كثير من الأحاديث. وقد يستعمل الرسول –صلى الله عليه وسلم– لتوكيد الخبر أداة توكيد واحدة، وهو ما يعرف بـ "الخبر الطلبي"، ومنه (التوكيد بالأداة "إنّ")، وقد يؤكّد بأكثر من أداة، وهو ما يعرف بـ "الخبر الإنكاري"، ومنه التوكيد بالأداتين: (ألا + إنّ)، وهو بذلك يُنزّلُ خاليَ الذّهن منزلةَ الشاكِّ المتردّدِ.

ج– العامل الحجاجي "النفي بـ (لا)": وقد وقفنا على استعمالين لهذا العامل:

– "لا" النافية للجنس: وقد وردت في حديث واحد، وهو الحديث الثاني والثلاثون.

– "لا" النافية الداخلة على الفعل المضارع.

4– أما عن الوظائف الحجاجية التي أدتها تلك العوامل في الأحاديث المدروسة في البحث، فيمكن تلخيصها في الآتي:

أ- **تحقيق مبدأ الإفادة**: لاحظنا في الأحاديث المدروسة أنّ الجملة تكون صحيحة نحويا، ويُدخَل عليها العامل الحجاجي؛ لإفادة معانٍ ما كانت لتحصل دونه؛ ذلك أن كلّ عامل حجاجي يُدرج في الخطاب تحصل بفضله -بلاغيا ودلاليا- زيادة في المعنى الأصلي.

ب- **الإعانة على فهم المعنى**: ساعدت العوامل الحجاجية في الأحاديث النّبوية على تجاوز فهم المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي للجملة (القول المضمر)، وهو النتيجة التي يسعى الحديث النبوي إلى إقناع المخاطبين بها.

ج- **توجيه الحجاج** نحو النتيجة التي يُريدها المُخاطِب دون غيرها من النتائج.

د- **تقوية التوجيه نحو النتيجة**: لقد كان للعامل الحجاجي في الأحاديث النبوية دورٌ كبير في تقوية التوجيه نحو النتيجة المتضمّنة في الحديث، وذلك عبر ما يعرف بالسلالم الحجاجية.

هـ- **تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية**، حيث إن العامل الحجاجي عمل على نفي تعدد التأويلات؛ وذلك بحصر النتيجة، وجعلها محددة، من خلال سرعة ربطه بين الحجة والنتيجة.

و- **قدح الموضع وتنشيطه**: يكون الموضع هو العمدة في ارتباط (ق1) أي: المعطى بالنتيجة (ق2)، والعامل الحجاجي في الحديث النبوي يضمن تسلسل الخطاب، وتناسقه؛ وذلك بربطه بين المعطى والنتيجة.

كانت هذه خلاصة ما توصّل إليه البحث من نتائج، على أن باب البحث في العوامل الحجاجية في الحديث الشريف مُشرَعٌ للباحثين الذين ندعوهم إلى دراستها في متون الحديث الكبرى، كصحيحي البخاري ومسلم، ومسند الإمام أحمد؛ وذلك للإحاطة بالعوامل الحجاجية في الأحاديث النبوية الشريفة، وحصر وظائفها وآليات اشتغالها، بوصفها وجها من أوجه البلاغة النبوية.

ولعلّنا في الأخير نستحضر قول العماد الأصفهاني: «إنّي رَأيتُ أنه ما كَتَبَ أحدُهم في يومه كتابا إلا قال في غَدِه: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زُيِّد ذاك لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر».

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

مصادر البحث ومراجعه

* **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

* **المصدر**: العثيمين (محمد بن صالح)، شرح الأربعين النووية، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط3، 2004.

أولا– المصادر العربية القديمة:

– **ابن الأثير (المبارك بن محمد الجزري الموصلي. ت: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطباحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د ط)، 1399هـ/ 1979م، ج3.

– **ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. ت: 577 هـ)، أسرار العربية**، تح: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995.

– ـــ**، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، (د ط)، 2009.

– **البخاري (محمد بن إسماعيل. ت: 256 هـ)، صحيح البخاري**، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت ط1، 1422هـ.

– **ابن بطال (أبو الحسن علي بن خلف. ت: 449 هـ)، شرح صحيح البخاري**، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط2، 1423هـ/ 2003م، ج6، وج9.

– **الجرجاني (علي بن محمد بن علي الشريف. ت: 816 هـ)**، التعريفات، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003.

– **الجرجاني (عبد القاهر. ت: 471 هـ)، دلائل الإعجاز**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.

– **ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد. ت: 241 هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997، ج11، وج13، وج15.

– **أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف بن علي. ت: 745 هـ)، البحر المحيط**، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج4.

– **الخطيب التبريزي (زكرياء يحي بن علي. ت:502 هـ)، شرح ديوان عنترة**، تح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992.

- **ابن دقيق العيد (محمد بن علي بن وهب: ت: 702 هـ)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**، مؤسسة الريان، بيروت، ط6، 1424 هـ/ 2003م.

– الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى. ت: 384 هـ)، معاني الحروف، تح: عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت، ط1، 2005.

– السكاكي (أبو يعقوب يوسف. ت: 626 هـ)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ / 1987م.

- **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. ت: 180هـ)، الكتاب**، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج3.

– السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن. ت: 911 هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، (د ط)، 1979.

– ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله. ت: 463 هـ)، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، تح: سالم محمد ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421/ 2000.

– ابن عقيل (عبد الله بهاء الدين بن عبد الله. ت: 769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، (د ط)، 2004، ج2.

– ابن فارس (أبو الحسين أحمد. ت: 395 هـ)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ / 1979م، مادة (حجّ)، ج2.

– ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد. ت: 273 هـ)، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج2.

– مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج. ت: 261 هـ)، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، (د ط)، ج4.

– ابن منظور (محمد بن مكرم. ت: 711 هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، مادة (حجج)، ج2.

– ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي. ت: 643 هـ)، شرح المفصل، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج5.

ثانيا– المراجع العربية الحديثة:

– الجارم (علي) ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع)، دار الفكر، بيروت، ط1، 2006.

– جامعة المدينة العالمية جامعة المدينة العالمية، مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة 2 المعاني، جامعة

المدينة العالمية، كولالمبور، ماليزيا، (د ط)، (د ت).

– **جمع من العلماء، شرح الأربعين النووية**، دار نور الكتاب، القبة، الجزائر، ط1، 2010.

– **حافظ اسماعيلي علوي وآخرون، الحجاج مفهومه ومجالاته** (دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة)، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2013.

– **خان (محمد)، لغة القرآن الكريم "دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة"**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2004.

– **الدريدي (سامية)، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011.

– **السامرائي (فاضل صالح)، معاني النحو**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2000، ج4.

– **الشهري (عبد الهادي بن ظافر)، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط1، 2003.

– **صمود (حمادي) وآخرون، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، كلية الآداب، منوبة، تونس، (د ط)، (د ت).

– **صولة (عبد الله)، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2008.

– **طبل (حسن)، علم المعاني في الموروث البلاغي** (تأصيل وتقييم)، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط2، 2004.

– **طروس (محمد)، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2005.

– **الطلبة (محمد سالم محمد الأمين)، الحجاج في البلاغة المعاصرة** (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

– **ابن عاشور (محمد الطاهر)، التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984، ج1، وج3، وج5، وج12.

– **العباد البدر (عبد المحسن)، فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين**، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ط1، 2003.

– **العزاوي (أبو بكر)، اللغة والحجاج**، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426هـ/2006.

– **اللبدي (محمد سمير نجيب)، معجم المصطلحات النحوية والصرفية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986.

– **مطلوب (أحمد)، البلاغة والتطبيق**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1999.

– **الناجح (عز الدين)، العوامل الحجاجية في اللغة العربية**، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2011.

ثالثا– الرسائل الجامعية:

– **بو بلوطة (حسين)، الحجاج في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي**، مذكرة ماجستير، إشراف: د. إسماعيل زردومي، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة، الجزائر، 2009.

– **عبد النبي محمد مصطفى هيبة جعفر، اختلاف النحاة ثماره وآثاره في الدرس النحوي**، رسالة ماجستير، إشراف: د. علي الريح جلال الدين، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2010.

– **أبو غليون (هاني بن يوسف)، الحجاج في النص القرآني (سور الحواميم أنموذجا)**، رسالة ماجستير، إشراف: أ. د. زهير منصور، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، 2008.

– **بو فار (عبد السلام)، الروابط والعوامل الحجاجية في رسائل الجاحظ، مذكرة ماجستير**، إشراف: ذهبية حمّو الحاج، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2016.

– **مدقن (هاجر)، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين الرافعي)**، مذكرة ماجستير، إشراف: د. جمال كديك، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، 2003.

– **موقاري (عبد الرزاق)، أساليب النفي في القرآن الكريم (دراسة نحوية بلاغية سورة غافر نموذجا)**، مذكرة ليسانس، إشراف: د. رابح العربي، جامعة العقيد أكلي محند والحاج، البويرة، الجزائر، 2012.

رابعا– المجلات العلمية المحكمة:

– **مجلة أوروك للعلوم الإنسانية**، جامعة المثنى، السماوة، العراق، مج7، ع4، 2026.

خامسا– المواقع الإلكترونية:

– **مجلة علوم إنسانية**، السنة السابعة، ع:14، شتاء 2010، WWW.ULUM.NL

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
– تصدير:	أ
– شكر وعرفان:	ب
– مقدّمــة:	ج
– الفصل الأول: العواملُ الحِجاجِيّةُ: المفهومُ والوظيفة:	9
1– الحجاج لغةً:	10
2– الحِجاج اصطلاحا:	11
2– 1– مفهوم الحجاج عند الإغريق وفي التراث الإسلامي:	11
2– 1– 1– الحجاج عند الإغريق:	12
2– 1– 2– الحجاج في التراث الإسلامي:	14
3– مفهوم الحجاج في الدراسات اللغوية الغربية والعربية الحديثة:	19
3– 1– مفهوم الحجاج في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة:	19
3– 2– مفهوم الحجاج عند اللغويين العرب المحدثين:	21
4–مفهوم العامل الحجاجي:	22
5– العوامل الحجاجية في اللغة العربية:	24
5–1– القصر:	24
5– 1– 1– القصربـ (ما...إلا):	26
5– 1– 2– القصر بـ "إنّما":	27
5– 1– 3– القصر بالتقديم والتأخير:	29
5– 2– التوكيد:	30
5– 3– لا النافية:	31
6– وظائف العوامل الحجاجية في الخطاب:	31
6– 1– توجيه الحجاج:	32
6– 2–الإعانة على فهم المعنى:	32
6– 3– تحقيق مبدأ الإفادة:	33

6- 4- تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية:........................ 33
6- 5- تحديد التوجيه الحجاجي للجملة:........................ 34
6- 6- القضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج:........................ 34
6- 7-قدح المواضع وتنشيطها:........................ 34
6- 8- تقوية التوجيه نحو النتيجة:........................ 35
7- الفرق بين العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية:........................ 35
- الفصل الثاني: العواملُ الحِجاجِيّةُ ووظائفُها في الأربعين النَّوَوِيّة:........................ 37
- تمهيد:........................ 38
1- العامل الحجاجي القصر بالنفي والاستثناء:........................ 39
1- 1- (لا ...إلا):........................ 39
1- 1- 1- الوظيفة الحجاجية للعامل "لا...إلّا":........................ 40
1-2- العامل الحجاجي (ما...إلا):........................ 41
1- 2- 3- الوظيفة الحجاجية للعامل "ما...إلا": 42
1- 3- العامل الحجاجي (لا...حتّى):........................ 42
1- 3- 1- الوظيفة الحجاجية للعامل "لا...حتّى": 44
1- 4- العامل الحجاجي (القصر بـ "إنما"):........................ 45
1- 4- 1- الوظيفة الحجاجية للعامل "إنّما":........................ 46
1- 4- 2- تكرار العامل الحجاجي "إنّما":........................ 47
2- العامل الحجاجي التوكيد:........................ 50
2- 1- التوكيد بالأداة "إنّ":........................ 50
2- 1- 1- الوظيفة الحجاجية للعامل "إنّ":........................ 51
2- 2- التوكيد بأكثر من أداة (ألا + إن):........................ 52
2- 2- 1- الوظيفة الحجاجية للعامل "ألَا إنَّ":........................ 53
3- العامل الحجاجي النفي بـ "لا":........................ 54
3- 1- العامل الحجاجي "لا النافية للجنس":........................ 55
3- 1- 1- الوظيفة الحجاجية لـ "لا النافية للجنس":........................ 56

3– 2– العامل الحجاجي "لا النافية الداخلة على الفعل المضارع": **57**

3– 2– 1– الوظيفة الحجاجية للعامل الحجاجي (نفي المضارع بـ "لا"): **58**

– خاتمـــة: **60**

– قائمة المصادر والمراجع: **63**

– فهرس المحتويات: **68**